

سلسلة

قواعد وفنون التعامل مع الآخرين

(١)

أَمْسِكْ عَلَيْكَ هَذَا

(مقدمات وعشر قواعد في فنون التعامل مع الآخرين)

د. علي الحمادي

دار ابن خزم

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ
مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا
وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ
عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
خَبِيرٌ﴾

(الحجرات: ١٣)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

الطبعة الثانية

١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن خزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - صرب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد...

الإنسان اجتماعي بطبعه، يحب تكوين العلاقات وبناء الصداقات. والفطرة السليمة تمج الانعزال التام، وتستهجن الانطواء، وترفض الانقطاع عن الآخرين. والملاحظ أن الفرد مهما كان انطوائياً فإنه يسعى لتكوين علاقات مع الآخرين وإن كانت محدودة، ويصعب، بل ربما يستحيل، عليه الانكفاء على الذات والاستغناء عن الآخرين. ولقد أشارت بعض الدراسات إلى أن المدير يقضي ٨٠٪ من وقته في الاتصال والتعامل مع الآخرين^(١).

إن الله تعالى قرر مبدأ التعامل بين الناس، وجعله ضرورة بشرية وسنة كونية، بل بيّن في كتابه الكريم أن من أسرار خلق

(١) أسماء السيد إبراهيم، الاتصالات الإدارية، ورقة علمية مقدمة لبرنامج مهارات الإشراف والمتابعة الفعالة، معهد التنمية الإدارية، دبي، ١٠ نوفمبر ١٩٩١، ص ٢.

الإنسان وتصنيف البشر إلى أمم وشعوب هو أن يتحقق الاتصال والتعارف بينهم، لذا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٣) (١).

إن العلاقة التي تربط الناس بعضهم ببعض لا تقوم على رابطة الدم فحسب، بل إن هناك روابط أخرى تجمع الناس وتؤلف بينهم وترفع من مستوى وحجم تعاملهم، فهناك (مثلاً) رابطة الفكرة والمبدأ، ورابطة العمل والوظيفة، ورابطة الصداقة والصحبة، ورابطة الجنس والعرق، والرابطة التجارية والاقتصادية... إلخ. وتعتبر رابطة العقيدة هي أجل وأسمى هذه الروابط، بل لا نبالغ إذا قلنا أنها تفوق رابطة الدم والنسب، لذا يقول الشاعر:

إن يختلف ماء الغمام فماؤنا

عذب تحدر من غمامٍ واحدٍ

أو يفترق نسب يؤلف بيننا

دين أقمناه مقام الوالدِ

ويقول أبو تمام:

ولقد سبرت الناس ثم خبرتهم

وبلوت ما وصفوا من الأسباب

فإذا القرابة لا تقرب قاطعاً

وإذا المودة أقرب الأنساب

إن التعامل مع الآخرين مهارة لا يحسنها كثير من الناس، فرب كلمة طائشة تخرج من الفم تفسد صفاء العلاقة بين أخوين متحابين، وربما يصل الحال إلى أكثر من ذلك بكثير. لذا ينبغي أن يكون الإنسان على حذر ويقظة دائمتين عند تعامله مع الآخرين، وإلا فربما يقع في ما لا يحمد عقباه.

إن هذا الموضوع من أكثر الموضوعات أهمية وصعوبة في نفس الوقت لأنه يتعامل مع هذا الكائن البشري المعقد.

ولقد حاولت في هذه الدراسة المتواضعة أن أتناول بعض الفنون والأساليب والقواعد التي ينبغي للإنسان أن ينتبه لها كي يستطيع أن يكسب مودة الآخرين، ويقي نفسه مصارع السوء الناتجة عن التعامل غير الموفق مع الناس.

ولا أزعم أنني أتيت بما لم يأت به الأولون، كما لا أزعم أن هذه الدراسة هي دراسة جامعة مانعة، ولكنها محاولة أرجو أن تكون موفقة، وأن ينتفع بها المسلمون، كما أرجو أن يرزقنا الله الإخلاص فيها، وأن يكتب لنا الأجر والثواب.

أبو عبد الله

علي الحمادي

فضل مخالطة الناس والتعامل معهم

أيها أفضل: مخالطة الناس والتعامل معهم، أم اعتزالهم ومزايلتهم؟ سؤال قد يخطيء أو يحار في الإجابة عليه بعض الناس، لا سيما وأن هناك بعض الأحاديث الصحيحة التي ترغّب في العزلة كما أن هناك أحاديث صحيحة أخرى وردت عن الرسول ﷺ ترغّب في الخلطة وتنفر من العزلة. ومن هنا صعب على بعض المسلمين الجمع بين هذه الأحاديث فزلت أقدامهم.

إن الأصل في الإسلام أنه دين تجمّع وألفة، ونزعة التعرف إلى الناس والاختلاط بهم أصيلة في تعاليمه، وهو لم يدع أبناءه إلى العزلة العامة، والفرار من تكاليف الحياة، ولا رسّم رسالة المسلم في الأرض على أنها انقطاع في دير، أو عبادة في صومعة، كلا، فإن الدرجات العالية لم يعدها الله عز وجل لأمثال أولئك المنكمشين الضعاف، لذا يقول الرسول ﷺ: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط

الناس ولا يصبر على أذاهم»^(١)،^(٢).

لمن شرعت الجماعات؟ وعلى من فرضت الجمعة؟ ومن الذي يحمل أعباء الجهاد ويعين في أزماته الكالحة؟ إن ذلك كله يستلزم أمة توثقت فيها العلاقات الخاصة والعامة إلى حد بعيد. ولذلك أجاب ابن عباس رضي الله عنه عندما سُئل مراراً عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولكنه لا يحضر الجمعة ولا الجماعات، فقال: «خبروه أنه من أهل النار»^(٣). وفي الحديث: «... صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل، وكلما كثر فهو أحب إلى الله عز وجل»^(٤)،^(٥).

والناس طبائع، منهم الذي يهرع إلى المجامع الحافلة، وسرعان ما يتصل بهذا وذاك، ويستأنس بتصفح الوجوه ومحادثة القريب والبعيد، ومنهم من تزج به في الأحفال المائجة فإذا هو يقيم حول نفسه سوراً، يطل منه على الناس بحذر، ويتوارى خلفه إن قصده قاصد. كلتا الطبيعتين هداها الإسلام نهجها السوي. فيقال للأول: «خالط الناس، ودينك لا تكلمنه»، ويقال للآخر: «المؤمن هيّن ليّن ألف مألوف». ثم

(١) رواه الترمذي.

(٢) محمد الغزالي، خلق المسلم، دار القلم، دمشق، سنة ١٩٨٧، ص ١٩٧.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه أحمد.

(٥) محمد الغزالي، خلق المسلم، دار القلم، دمشق، ١٩٨٧، ص ١٩٨.

إن العزلة والاختلاط لا يمكن أن يكونا وصفين دائمين للإنسان، فليقسم المسلم وقته بين الخلوة النافعة والاختلاط الحسن^(١).

ولقد تناول أحد العلماء الأفاضل هذا الموضوع بشيء من التفصيل النافع، وإتماماً للفائدة سوف أذكر شيئاً مما أورده في كتابه «العزلة والخلطة» فيقول: «إن الإسلام دين الجماعة، والأصل في المسلم الاختلاط بالناس ومعاشرتهم ومخالقتهم، ولذلك جاء الشرع بالأمر بالجماعة في الصلوات، في الجمعة والفرائض والعيدين والكسوف وغيرها، إما فرضاً على الأعيان أو على الكفاية. وجاء الشرع بتنظيم العلاقات الاجتماعية، وبيان الحقوق والواجبات، للفرد والجماعة، وأمر النبي ﷺ، بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ورد السلام، ونصر المظلوم، وإجابة الداعي، وإبرار المقسم. وجاء الشرع بإيجاب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصيحة، والرد على أهل البدع، وجهاد الكفار، إيجاباً كفائياً يَأثم بتركه والتفريط فيه جميع المسلمين.

وجاء الشرع بإقامة بنيان الأخوة الإسلامية بين المؤمنين، وبيان فضلها وأهميتها، والوعد بعظيم الأجر للمتحابين في الله، والمتزاورين فيه، والمتجالسين فيه، والمتباذلين فيه، كما جاء بالنهي عن التباغض، والتدابير، والتهاجر، وسائر

(١) محمد الغزالي، خلق المسلم، دار القلم، دمشق، ١٩٨٧، ص ١٩٩.

الأسباب التي تورث الضغينة وتسبب البغضاء بين المؤمنين .
 فالإسلام دين الجماعة، والتوجيهات الإلهية في معظمها
 موجهة إلى (الذين آمنوا) وفيها الحث لهم على الاعتصام
 بحبل الله وعدم التفرق، وفيها الحث على التعاون على البر
 والتقوى لا على الإثم والعدوان، وفيها الحث على الجهاد
 والقتال صفاً كأنهم بنيان مرصوص . . إلخ .

إن الأصل في العزلة الكلية المطلقة هو المنع، حيث
 يترتب عليها تضييع الحقوق، وتفويت الفرائض، وتعطيل كثير
 من الواجبات كترك التعلم والتعليم والأمر والنهي وصلة الرحم
 والقربة، مع التعرض لكيد الشيطان ومكره ووسوسته وتليسه،
 فإنه إنما يأكل الذئب القاصية من الغنم . وعن أبي الدرداء
 رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من
 ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ
 عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة، فإنما يأكل الذئب
 القاصية»^(١) .

فالأمر بالجماعة، والتعليل بأن الشيطان يأكل القاصية يدل
 على منع العزلة المطلقة، وقصة رواية أبي الدرداء لهذا الحديث
 تدل على هذا المعنى، حيث سأل أبو الدرداء معدان بن أبي
 طلحة اليعمري: أفي قرية يسكن أم في مدينة؟ ثم أوصاه
 بسكنى المدائن .

(١) رواه أبو داود والنسائي وأحمد والحاكم وغيرهم .

أما الأحاديث التي وردت في مدح العزلة، وبيان فضل المؤمن المتعبد في شُعب من الشعب الذي يدع الناس من شره، والثناء على رجل في غُنيمة في رأس شعبة أو بطن وإد يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا في خير، فهذه الأحاديث وما شابهها تُحمَل على أحد وجهين:

الوجه الأول: أن يكون هذا في حق أفراد لا يستطيعون الجهاد ولا الأمر بالمعروف ولا النهي عن المنكر، ولو خالطوا الناس لتضرروا بالمخالطة وأضروا بغيرهم، إذ من الناس من لا يستطيع منع أذاه وشره عن الآخرين إلا باعتزالهم، فإذا خالطهم وجد المثيرات التي تحركه إلى الشر والإضرار بالنفس وبالناس. وذلك كمن يرى المنكرات فيهيج وينفعل، ويغير بطريقة غير مشروعة، بل فيها اعتداء وتسرع ربما يؤدي إلى مضاعفة المنكر، وربما يكون سبباً في إغلاق باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وربما يترتب عليه أذى للمؤمنين.

وكمن يكون شديد الحساسية ضد المنكرات، فإذا رآها تأثر تأثراً شديداً وتعكر مزاجه وتكدرت حياته، فلم يهنأ بعيش ولا بعبادة. وكمن يعرف من نفسه الضعف والميل إلى الفواحش، فإذا جاورها وخالط أهلها ورأها في غدوه ورواحه أنست نفسه بها وشعر بالاسترواح إليها، وهو يستطيع أن يحمل

نفسه على اعتزال هذه البيئات حفاظاً لما هو أهم مما سيفقده حال الاعتزال. فمثل هؤلاء قد تشرع في حقهم العزلة، كفاً لشهرهم عن الناس، أو حفاظاً لهم عن شرور الناس. ولذلك جاء في الأحاديث التعبير بـ«... مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله، ويدع الناس من شره»، و«رجل اعتزل شرور الناس» وهكذا.

ومن الظاهر أن المرء إذا كان لا يستطيع نفع المسلمين بعلم ولا جهاد ولا أمر ولا نهي ولا غير ذلك، ولا يستطيع كف شره عنهم إذا خالطهم، أو لا يستطيع التوقي من شهرهم في أمور دينه ودنياه، فالعزلة في حقه أولى^(١). ولذلك جاء في أوائل الأحاديث الثناء على المؤمن المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، الممسك عنان فرسه، يطير على متنه، كلما سمع هيعاً طار إليها، يبتغي القتل أو الموت مظانه.

الوجه الثاني: أن يكون هذا خاصاً في زمان الفتن التي أخبر عنها النبي ﷺ، وأمر بالعزلة فيها، فتحمل هذه الأحاديث المطلقة على الأحاديث المقيدة. ويؤيد هذا أن في بعض ألفاظ الأحاديث المُستشَهد بها على فضل العزلة مطلقاً ما يدل على تقييد مجموعها. ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله، يطير على

(١) انظر فتح الباري (١١/٣٣٢)، وشرح النووي (١٣/٣٤).

متنه^(١)، كلما سمع هيعة^(٢) أو فزعة^(٣) طار عليه، يبتغي القتل والموت مظانه^(٤)، أو رجل في غُنيمة^(٥) في رأس شعفة^(٦) من هذه الشعف، أو بطن واد من هذه الأودية، يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين، ليس من الناس إلا في خير^(٧). وهذا الحديث من أقوى الأحاديث في فضل العزلة، إذ فيه العطف بالواو، بينما العطف في الأحاديث الأخرى بـ«ثم» أو عبارة «الذي يليه» مما يدل على نزول الرتبة.

وقد صح المعنى عن النبي ﷺ، مقيداً في الفتنة في أحاديث أخرى، منها ما رواه ابن طاوس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الناس في الفتن رجل آخذ بعنان أو قال: برسن فرسه، خلف أعداء الله، يخيفهم ويخيفونه، ورجل معتزل في باديته يؤدي الحق الذي عليه^(٨)». لذلك قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٦/٦) معلقاً على الأحاديث المفضلة للعزلة بإطلاق: «وهو مقيد بوقوع الفتن».

(١) متنه: أي ظهره والمعنى يسارع على ظهره.

(٢) هيعة: أي الصوت عند حضور العدو.

(٣) الفزعة: أي النهوض إلى العدو.

(٤) مظانه: أي يطلبه في موطنه التي يرجى منها لشدة رغبته في الشهادة.

(٥) غنيمة: هي تصغير الغنم أي قطعة منها.

(٦) الشعفة: أي أعلى الجبل.

(٧) رواه مسلم والنسائي وأحمد والحاكم.

(٨) رواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط الشيخين.

أما في الأحوال العادية التي ليس فيها فتنة عامة، فإن الأفضل فيها أن المسلم الذي يستطيع أن يخالط الناس ويصبر على أذاهم ويوصل إليهم النفع الديني والدنيوي، هو خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم بل يعتزل شرورهم ويتفرد بنفسه. وهذا - أي ترجيح الخلطة في الأحوال الطبيعية - هو مذهب جماهير السلف والعلماء^(١).

كما أن بعض العلماء يرجحون العزلة أو الخلطة وفقاً للمصلحة، فمثلاً إن الإمام أبي سليمان الخطابي رحمه الله علق الخلطة أو العزلة بالمصلحة ثم ركز على مصلحة الفرد ذاته، ومصلحته الدنيوية من إصلاح معاشه ومهنته والقيام على أولاده وأسرته.

أما الحافظ ابن حجر فقد كانت العبارة التي نقلها في «فتح الباري» (٤٣/١٣) (والتي كانت مقراً لها مؤيداً لما فيها) أشمل وأوفى وأدق، حيث قال: «وقال غيره: يختلف باختلاف الأشخاص، فمنهم من يتحتم عليه أحد الأمرين، ومنهم من يترجح، وليس الكلام فيه، بل إذا تساوى فيختلف باختلاف الأحوال، فإن تعارضاً اختلف باختلاف الأوقات. فمن يتحتم عليه المخالطة من كانت له قدرة على إزالة المنكر، فيجب عليه إما عيناً وإما كفاية، بحسب الحال والإمكان. وممن

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٢/٢٢٢)، حيث نسبه إلى أكثر التابعين، والشافعي وأحمد وجماعة.

يترجح من يغلب على ظنه أنه يَسَلِّم في نفسه إذا قام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومن يستوي من يأمن على نفسه ولكنه يتحقق أنه لا يطاع».

فالقضية تدور مع المصلحة العامة: مصلحة الأمة ومصلحة الفرد، فقد تكون الخلطة واجبة متعينة على فرد أو أفراد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر العلم، وقيادة الأمة، ونفع الخلق في دنياهم وأخراهم. وقد تكون العزلة والانقباض عن فضول الصحبة هي الأمر المتعين لمن يضر نفسه أو غيره بذلك، دون أن يحقق مصلحة أعظم وأكبر من هذا الضرر. وقد يكون أحد الأمرين أرجح من الآخر دون أن يصل الأمر إلى حد الوجوب إذا كان فيه تحصيل مندوب، أو التخلص من مكروه. وقد يستوي الأمران حين لا يكون ثمَّ مصلحة ولا مفسدة، أو حين تكون المصلحة والمفسدة متعادلتين.

وقد فصّل أبو حامد الغزالي رحمه الله في هذا الموضوع في كتابه إحياء علوم الدين (٢/٢٢٢ - ٢٤٢) ثم خلاص إلى القول: «إن الحكم عليها (أي على العزلة) مطلقاً بالتفضيل نفيّاً وإثباتاً خطأ، بل ينبغي أن ينظر إلى الشخص وحاله، وإلى الخليط وحاله، وإلى الباعث على مخالطته، وإلى الفئات بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة، ويقاس الفئات بالحاصل، فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الأفضل. ثم أشار إلى وجوب الاعتدال في المخالطة والعزلة واختلاف ذلك باختلاف الأحوال.

ويمكن تلخيص الخطوط العامة لمنهج الطائفة المنصورة في النقاط التالية:

أولاً: إن الطائفة التي نذرت نفسها للجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى الله، وقيادة الأمة الإسلامية إلى سبيل الهداية والفلاح، والرقابة على المجتمع المسلم، وحمايته من الأمراض والمفاسد والمنكرات، إن هذه الطائفة تؤدي مهمة مقدسة هي أفضل بكثير من نوافل الصيام والقيام التي يؤديها المعتزل المنفرد بنفسه، المتخلي عن الجهاد، جهاد الناس بالقرآن والسنة، ومهما وجد المتعبد من الأنس والروح والسعادة بعبادته ومناجاته لربه، فإن المجاهد يجد أنسه وروحه في البذل في سبيل الله، بذل النفس والمال والوقت والراحة، فيعوضه الله - في العاجل والآجل - خيراً مما بذل.

وقد أكد رسول الله ﷺ على أهمية المخالطة التي تهدف إلى نفع الناس ونصحهم، وإلى إقامة الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشعب فيه عُيُنة من ماء عذبة فأعجبته لطيبها، فقال: لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشعب، ولن أفعل حتى أستاذن رسول الله ﷺ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «لا تفعل، فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة، اغزوا في سبيل الله، من قاتل

في سبيل الله فواق^(١) ناقة وجبت له الجنة^(٢).

ثانياً: هناك نوع من العزلة الجزئية، يقصد من ورائها العزلة للتربية، حيث يخلو المرء بنفسه - أحياناً - بقصد التبعد، أو التزود من العلم، أو محاسبة النفس، أو نحو ذلك من الأغراض والمقاصد التربوية. وقد يكون من صنع الله لنبيه ﷺ أن وفقه قبل نزول الوحي عليه لهذا النوع من العزلة، وحبب إليه الخلاء، فكان يخلو في غار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء^(٣).
والسر في هذه الخلوة - والله أعلم - تفرغ القلب من شواغل الحياة وملهياتها، وانطلاق الفكر بالتطواف في ملكوت السماوات والأرض، وانعتاق الروح من أوضار المادية الجاهلية التي كانت تخيم على العالم كله آنذاك.

والخلوة المؤقتة للعبادة بقيت شرعاً لأمة محمد ﷺ وهي الاعتكاف، وكان النبي ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى ثم اعتكف أزواجه من بعده. وليست العزلة المشروعة لتربية النفس وتهذيبها مقصورة على سنة الاعتكاف فحسب، بل كان السلف رضي الله عنهم يحثون

(١) الفواق: هو قدر ما بين الحلبتين من الراحة.

(٢) رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن.

(٣) رواه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها.

السالك على اختلاس أويقات يخلو فيها بنفسه للذكر أو الفكر أو المحاسبة أو غيرها، ولهم في ذلك أقوال كثيرة تطلب في مظانها. ومن أشهرها قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «خذوا بحظكم من العزلة»، وقول مسروق رحمه الله: «إن المرء لحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها، فيذكر فيها ذنوبه، فيستغفر منها»^(١). ويقول أبو سليمان الخطابي: «وفي العزلة أنها معينة لمن أراد نظراً في علم، أو إثارة لدين رأي، أو استنباطاً لحكمة، لأن شيئاً منها لا يجيء إلا مع خلاء الذرع وفراغ القلب» (العزلة للخطابي، ص ٣٤). والذرع يطلق على معانٍ منها المخالطة، يقال ذارعه أي خالطه.

ثالثاً: وهناك العزلة القلبية التي يقصد بها أن المؤمن الملتزم بالنهج الصحيح، وإن خالط الناس وعاشرهم ببدنه، فإنه مزايل لهم بعمله وقلبه، مفارق ما هم عليه من التعلق بالبدع، أو الولع بالدنيا، أو اتباع الهوى، ساع لنقلهم عما هم فيه إلى حيث السلامة والأمان. فهو يخالط الناس لغاية واضحة، هي العمل على انتشالهم من الضلال إلى الهدى، ومن البدعة إلى السنة، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ولا يستطيع أن يؤدي ذلك بصورة صحيحة مؤثرة إلا من داخل الناس وعاشرهم، وعرف أحوالهم، وأحسن إليهم بلسانه ويده ما استطاع إليه سبيلاً.

(١) رواه أحمد في كتاب الزهد، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

وهذه المخالطة المقصودة تجعل في قلب المخالط شعوراً متميزاً يحميه من التأثير بأعمال الناس وأهوائهم وانحرافاتهم إلى حد بعيد، وبذلك يتمكن من اكتساب الخصائص الخيرة الجميلة التي قد تنقصه، ومن الانتفاع بالتجارب التي تزكي العقل الغريزي وتنميه، ومن الاطلاع على أحوال الزمان وأهله، ومعرفة حقيقة الانحرافات وأبعادها، ليقوم بمدافعتها وعلاجها بالأسلوب الأمثل، دون أن يؤدي به ذلك إلى الذوبان في المجتمع المحيط به، أو التخلي عن عمله ونيته ودعوته. وبذلك يجمع بين الخلطة والعزلة، الخلطة بجسده ومدخله ومخرجه، والعزلة بقلبه وعمله ومشاعره. ولذلك يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «خالطوا الناس وزايلوهم وصافحوهم، ودينكم لا تكلمونه» (رواه وكيع بن الجراح في كتاب الزهد ٣/٨٥٣)، والكلم هو الجرح.

وهناك حالات خاصة تشرع فيها العزلة، العزلة الكلية أو الجزئية، وقد يتفاوت نوع العزلة المطلوب في بعض هذه الحالات عن النوع المطلوب في بعضها الآخر. وينبغي أن يُلاحظ أن الحديث سيكون عن الحالات العامة التي تشرع فيها العزلة، والتي يكون سبب مشروعيتها فيها تغير عام يقع في المجتمع. أما العزلة التي تشرع بسبب خاص فقد مضت الإشارة إليها، وهي التي تكون بسبب الفرد ذاته، إما لعدم قدرته على احتمال رؤية المعاصي والمفاسد، أو لخوفه على نفسه من الوقوع فيها خوفاً ظاهراً قوياً، وإما لتميزه بطبائع

وخلائق سيئة، من الحدة والشدة، أو التعجل والهوج، أو غيرها مما يلحق الضرر بالآخرين دون تحصيل فائدة تذكر، ولا يملك الخلاص منها أو تخفيفها وتهذيبها، إلى أسباب أخرى يكون متعلقها الفرد ذاته، وليس الحال العام.

الحالة الأولى: عند فساد الزمان

فقد أشار النبي ﷺ إلى الزمان الذي يتعذر فيه إصلاح العامة، لاختلاف الناس وتناحرهم وتطاحنهم، وخفة أحلامهم وأماناتهم، ومروج عهودهم ونذورهم. ووصف الرسول ﷺ أهل ذلك الزمان بأنهم «حثالة» من الناس، والحثالة من كل شيء هي رديئه وسقطه ومنه حثالة الشعير والأرز والتمر وكل ذي قشر، وحثالة الناس: أراذلهم. فهو إشارة إلى استقرار الانحراف العام، والغربة الشاملة، وغلبة الشر والفساد غلبة لا يُطمع معها في إصلاح العامة. وقد بين الرسول ﷺ أنه يشرع للمرء حينئذ أن يقبل على خاصته ويذر أمر العامة.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «كيف بكم وبزمان، أو: يوشك أن يأتي زمان، يغربل الناس فيه غربلة تبقى حثالة من الناس، قد مرجت^(١) عهودهم وأماناتهم، واختلفوا فكانوا هكذا، وشبك بين أصابعه»، فقالوا: كيف بنا يا رسول الله؟ قال: «تأخذون ما تعرفون، وتذرون ما

(١) مرجت: أي اختلطت.

تتكرون، وتقبلون على أمر خاصتكم، وتذرون أمر عامتكم»^(١).
 لقد بيّن الرسول ﷺ في هذه الأحاديث مجموعة من صفات أهل ذلك الزمان وهي:

١ - أنهم حثالة من الناس، وهذا يعني شدة ضعفهم في الدين والخلق والعقل والمروءة، وأنهم بقية مخلفة في الناس كما تخلف الحثالة في قاع الإناء.

٢ - أنهم قد مرجت عهدهم وأمانتهم واختلطت، وفُقدت الثقة فيهم، فهم إذا حدثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا عاهدوا غدروا، وإذا خاصموا فجروا، وإذا ائتمنوا خانوا، ولذلك بوّب البخاري رحمه الله في كتابه الفتن باب: «إذا بقي في حثالة من الناس»، وساق حديث حذيفة في نزع الأمانة، فلا يكاد أحد يؤديها، فيقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً.

٣ - أنهم مختلفون متنازعون اختلافاً كبيراً، عبّر عنه النبي ﷺ بصورة حسية حيث شبك أصابع يديه بعضها ببعض.

٤ - الشح المطاع، والشح هو البخل مع الحرص، وطاعته هي استجابة المرء لهذا الشح بالمال وبالمعروف، ومطاوعة غيره له على هذا الشح.

٥ - الهوى المتبع، أي أن كل إنسان يتبع هواه، ولا

(١) رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد والحاكم.

يلتفت إلى شرع أو دين، بل يجري خلف ما تهواه نفسه ولو كان فيه عطفه.

٦ - الدنيا المؤثرة، المؤثرة على الآخرة، كما قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾﴾^(١)، وإيثار الدنيا يترتب عليه مفسد عظيمة، منها ترك الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... إلخ.

٧ - الإعجاب بالرأي، وإعجاب المرء بنفسه مدعاة إلى ترك الكتاب والسنة وأقوال الأئمة والسلف، وسبب لعدم قبول الحق ممن جاء به، وبهذا تتراكم الأخطاء، ويتعذر التدارك والإصلاح.

ومحصل هذه الصفات كلها: أن لا فائدة من الأمر والنهي والإصلاح في مجال العامة (وهم الدهماء والجمهور، وإن ترأسوا وسادوا) بل ربما تترتب على الأمر والنهي ضرر بأن يتضاعف المنكر ويزداد، أو يتأذى الأمر في نفسه أو أهله أو ماله. ولعل هذا هو الضابط العام لتلك الحال: ألا يكون ثم فائدة ترجى من الدعوة والأمر والنهي بين هؤلاء المسلمين «العامة»، وفي مقابل التحقق من عدم النفع، هناك توقع لحصول الضرر الديني والدنيوي للأمر ولغيره، ولا شك أن الأصول العامة تقتضي ترك الأمر والنهي حينئذ دفعاً للمفسدة

(١) سورة الأعلى: الآية ١٦ - ١٧.

المتوقعة التي لا توجد مصلحة تكافئها، فيكون الحديث مطرداً مع القاعدة العامة في المصلحة والمفسدة.

وتحديد هذا الزمان أمر تختلف فيه الأنظار، كما تختلف فيه الأقطار، فقد يوجد في مكان دون مكان، وفي زمان دون زمان، كما قال الإمام الطحاوي رحمه الله: «يجوز أن الأزمنة تختلف وتتباين، وأن كل زمان منها له حكمه الذي بينه رسول الله ﷺ لأمته وأعلمهم إياه ما يعملون فيه، فعلى الناس التمسك بذلك ولزومه ووضع كل أمر موضعه الذي أمرهم رسول الله ﷺ بوضعها، وألا يخرجوا عن ذلك إلى ما سواه» (مشكل الآثار ٦٩/٢ - ٧٠).

أما الحال العام الذي تهيمن فيه مثل هذه الخصائص المنحرفة الرديئة على الأرض كلها، انحرافاً لا مطمع في الخروج منه، فإنه لا يكون - والله أعلم - إلا قبيل قيام الساعة، ولعله بعد عصر المهدي والمسيح عليهما السلام، شأنه في ذلك شأن الجاهلية التي لا يمكن أن تشمل الأمة الإسلامية كلها إلا بعد قبض أرواح المؤمنين. وخلاصة القول أن الوصف الوارد في الأحاديث السابقة يكون على ضربين:

الأول: أن تقع في زمن خاص وفي مكان خاص من أرض الإسلام، وهذا جائز وقوعه في كل عصر.

الثاني: أن تقع شاملة في الأرض كلها، بصورة تامة، وهذا ما ترجح من البحث أنه يكون قبيل الساعة، حيث لا

ينفع أمر ولا نهى، فيؤمر المؤمنون أن يعنوا بصلاح حالهم الخاص، ويدعوا أمر العامة حتى يأتي أمر الله، والله أعلم.

الحالة الثانية: عند الفتنة

والمقصود بالفتنة هنا ما يعرض للفرد والجماعة من آثار الشبهات والشهوات من انحراف واختلاف وتقاتل. وقد جاءت السنة كثيراً بإطلاق لفظ الفتنة على الاختلاف والتفرق الواقع بين المسلمين وما يترتب عليه من تحزب وقتال وقتل، وشاع استعمالها بهذا المعنى. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣١/١٣): «والمراد بالفتنة ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك، حيث لا يعلم المحق من الباطل».

وقد وردت أحاديث كثيرة في التحذير من الفتن عموماً، والحث على الفرار منها واعتزالها بالكلية، ومن هذه الأحاديث ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن»^(١).

وعن عديسة بنت أهبان بن صيفي قالت: «جاء علي بن أبي طالب إلى أبي، فدعاه إلى الخروج معه، فقال له أبي: إن خليلي وابن عمك عهد إليّ إذا اختلف الناس أن أتخذ سيفاً من خشب، فقد اتخذه! فإن شئت خرجت به معك قال: فتركه»^(٢).

(١) رواه البخاري والنسائي وأحمد ومالك.

(٢) رواه الترمذي وأحمد والطبراني.

وهذه الأحاديث تدل على مشروعية الاعتزال في الفتنة، وتجنب الخوض فيها، ولذلك لما وقع القتال بين علي ومعاوية رضي الله عنهما اعتزل عدد كبير من الصحابة، وأبوا الدخول في قتال يقع بين المسلمين مع اعترافهم ببيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وخلافته. فاعتزل محمد بن مسلمة، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، وأبو بكر نفيع بن الحارث، وأبو مسعود الأنصاري، وسلمة بن الأكوع، وأبو موسى الأشعري، وغيرهم.

وكانوا يحتجون على ترك القتال بأحاديث الفتن، وتحريم دماء المسلمين، والعزلة عند اختلاف المصلين واقتتالهم، حتى يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لمن دعاه إلى القتال وزعم أنه أحق بهذا الأمر من غيره: «لا أقاتل حتى تأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان يعرف الكافر من المؤمن»^(١)، وقال كذلك: «مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضاء، فبينما هم كذلك يسيرون هاجت ريح عجاجة، فضلوا الطريق والتبس عليهم، فقال بعضهم: الطريق ذات اليمين، فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا، وقال آخرون: الطريق ذات الشمال فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا، وقال آخرون: كنا في الطريق حيث هاجت الرياح، فننيخ، فأناخوا، فأصبحوا فذهب الريح، وتبين الطريق»^(٢).

(١) رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٢) رواه الخطابي في العزلة، ص ١٣.

ويقول أيمن بن خزيم لما دعاه مروان بن الحكم للخروج معه: إن أبي وعمي شهدا بدرأ، وإنهما عهدا إلى ألا أقاتل أحداً يقول: لا إله إلا الله، فإن أنت جئتني ببراءة من النار قاتلت معك! ثم يقول:

ولست بقاتل رجلاً يصلي
على سلطان آخر من قريش
له سلطانه وعليّ أثمي
معاذ الله من جهل وطيش
أقتل مسلماً في غير جرم
فليس بنافعي ما عشت عيشي^(١)

الحالة الثالثة: اعتزال السلطان عند فساد

إن السلطان لا بد له من أعوان ومستشارين وعمال ووزراء، يعينونه على ما تولى من شؤون رعاياه الخاصة والعامّة، الدينية والدنيوية. وقد كان وجوه الصحابة من المهاجرين والأنصار هم بطانة الخلفاء الأربعة، وما زال كثير من الفقهاء الذين يرون في أنفسهم القدرة على توجيه السلطان والتأثير عليه، ولا يخشونه من فتنة وضرر، يغشون مجالسهم أمرين بالمعروف والعدل، ناهين عن المنكر والظلم، قاضين لحوائج الناس، ولهم في ذلك كله مواقف مشهورة. أما حين

(١) سنن البيهقي: ٨/١٩٣.

يكون غشيان مجالس السلاطين طلباً لنفع دنيوي عاجل، أو لتحقيق مصالح شخصية، وتزول منه نية الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه يكون فتنة على صاحبه.

وقد غلب على أحوال السلاطين - بعد الراشدين - وجود شيء من الظلم والجور وإيثار العاجل على الآجل، حتى لا يكاد مخالطهم والملازم لهم يسلم من رؤية منكر لا يستطيع له تغييراً، أو ظلم لا يستطيع له رفعاً أو حق مسلوب لا يستطيع له رداً. وقد حذر النبي ﷺ من إتيان السلاطين وملازمتهم في مثل تلك الحال، حيث يفوته من الخير أعظم مما حقق، بل ربما لم يحقق نفعاً بالكلية. فعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتتن»^(١).

والفتنة التي تعرض لملازم أبواب السلطان هي فتنة الدين، فإنه إن وافقه فيما يأتي وما يذر فقد خاطر بدينه، وإن خالفه خاطر بروحه. وهي فتنة السراء بتعرضه للدنيا وزينتها، وفتنة الضراء بتعرضه للإهانة والضرب والقتل وسائر المخاطر.

وهذا الضرر الحاصل لمن دخل عليه ولازمه، قد يكون ضرراً محضاً لا يقابله تحصيل مصلحة شرعية، سواء كان الضرر دينياً أو دنيوياً، بالخير أو بالشر، وقد تقابله مصلحة شرعية أقل منه أو مثله أو أعظم منه. وتندرج هذه المسألة

(١) رواه أبو داود والترمذي وأحمد.

تحت قاعدة المصالح والمفاسد، ولذلك يقول الإمام الفتني في شرحه للحديث السابق: «وهذا لمن دخل مدهنة، ومن دخل أمراً وناهياً وناصحاً كان دخوله أفضل»^(١).

وإنما يكون اعتزال هذه الولايات والتباعد عنها وعن أسبابها الموصلة إليها لمن لا يستطيع دفع شيء من الظلم أو جلب شيء من العدل أو لمن يعلم من نفسه الضعف والقابلية للافتتان، بحيث يغلب على ظنه أنه إذا دخل في هذه الولايات رق دينه وذهبت حميته وكراهيته للمنكر والظلم، فلا هو على نفسه ودينه أبقى، ولا هو للعدل حقق، ولا هو للظلم رفع». [انتهى كلام الشيخ سلمان العودة]^(٢).

(١) المجمع: ٩٩/٤.

(٢) العزلة والخلطة - أحكام وأحوال، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٩٩٣، ص

الفرق بين التعامل والولاء

كثير من الناس لا يميزون بين الولاء وبين حسن التعامل، فيتمادى بعضهم في علاقاته مع الآخرين فيوالي من لا يجوز موالاتهم، ويفرط آخرون في علاقاته فيسيء التعامل مع من ينبغي أن يحسن معاملتهم بحجة أنهم غير مسلمين.

لذا يحسن توضيح الفرق بين هذين المصطلحين، وقبل التمييز بينهما نورد هذه الآيات الكريمة الواضحات والتي سوف تغنينا عن كثير من الشرح والتوضيح.

يقول الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ
أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ
الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ
أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (١).

ويقول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ثَلُثُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٥١﴾ (١).

ويقول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ (٢).

ويقول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ (٣).

ويقول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾ (٤).

وتعتبر آيتي الممتحنة (٨، ٩) من أوضح الآيات التي تميز بين الولاء وبين البر وحسن التعامل حيث يقول الله تعالى: ﴿لَا يَتَّهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكم مِّن دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَنُقِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا

(١) سورة الممتحنة: الآية ١.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥١.

(٣) سورة التوبة: الآية ٢٣.

(٤) سورة الممتحنة: الآية ١٣.

يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ
إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ ﴿١﴾ .

مما سبق يتضح لنا أن هناك بوناً شاسعاً بين الولاء وبين
البر وحسن التعامل، حيث أن الولاء هي المحبة والنصرة ولا
تكون إلا للمسلمين، فلا يجوز للمسلم أن يحب أو ينصر أو
يعاشر (باختياره) أو يصاحب (بمودة) غير المسلمين، فيكون
لهم خليلاً ومحباً، بل ينبغي على المسلم أن يتبرأ منهم لأنهم
كفروا بالله رب العالمين. ولا يعني ذلك أن يسيء معاملتهم أو
يظلمهم أو يأكل حقوقهم أو يسبهم أو يفحش لهم القول أو لا
يلاطفهم، فهذا لا يجوز بنص كتاب الله تعالى.

إن التعامل هو السلوك الظاهري، وقد أمرنا الله ورسوله
بأن يكون هذا السلوك حسناً مع المسلم ومع غير المسلم ممن
لم يقاتل المسلمين ويتآمر عليهم ويظاهر لهم العداة.

وخلاصة القول أن الولاء هو سلوك الباطن والمحبة
القلبية وما يترتب على ذلك من نصرة وإعانة، أما التعامل
الحسن فهو سلوك الجوارح والعلاقة الظاهرية، والأول قد
حُصر على المسلمين، أما الثاني فهو مع المسلمين ومع
غيرهم.

مجالات التعامل مع الآخرين

للتعامل مع الآخرين مواطن متعددة، ومجالات متنوعة، ونظراً لأن الإنسان يمضي معظم أوقاته في التعامل مع الآخرين، لذا يحسن التنويه إلى أهم هذه المجالات والمواطن حتى لا يحصر هذا الموضوع في دائرة ضيقة، ولكي يتضح عمقه وأهميته ومدى حاجة الإنسان إليه، ومن أهم هذه المجالات ما يلي:

- ١ - تعامل الإنسان مع أهل بيته وأقاربه.
- ٢ - تعامل الرئيس مع مرؤوسه، والمرؤوس مع رئيسه.
- ٣ - تعامل الإنسان مع زملائه في العمل وأقرانه.
- ٤ - التعامل مع الأصحاب والأصدقاء.
- ٥ - تعامل التاجر مع زبائنه، وتعامل الزبون مع التاجر.
- ٦ - تعامل الفرد مع السلطات، والسلطات مع الشعب.
- ٧ - تعامل الطالب مع أستاذه، والأستاذ مع طلابه.
- ٨ - التعامل مع جمهور الناس وعامتهم.

- ٩ - التعامل مع المثقفين والمفكرين.
- ١٠ - التعامل مع الأغنياء وكبار القوم.
- ١١ - التعامل مع الفقراء وأصحاب الحاجات.
- ١٢ - تعامل الفرد مع الجماعة، والجماعة مع الفرد.
- ١٣ - التعامل مع الأحزاب والنقابات والجمعيات.
- ١٤ - تعامل الرجل مع المرأة، والمرأة مع الرجل.
- ١٥ - تعامل الكبار مع الصغار، والصغار مع الكبار.

أنماط الناس

إن الله تعالى خلق البشر متباينين في طباعهم وسلوكهم وتوجهاتهم وقناعاتهم، فلا تكاد تجد اثنين لهما نفس الصفات والطباع والسلوك، ولذا ينبغي التعامل مع كل فرد بطريقة تتناسب وطبيعته ونفسيته. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «خاطبوا الناس على قدر عقولهم، أتحبون أن يكذب الله رسوله».

وفي الحقيقة لا توجد لدينا وصفة صالحة لكل البشر، ونافعة في كل المواقف والأحوال، ومن هنا تكمن صعوبة التعامل مع الناس. ولكن من المهم التعرف على أنماط الناس وتشخيص طبائعهم حتى يسهل التعامل معهم، ويمكن أن نشير إلى بعض هذه الأنماط وهي:

- | | |
|--------------|-----------------|
| ١ - المتواضع | ٢ - المتكبر. |
| ٣ - الشوري | ٤ - الدكتاتوري. |
| ٥ - الطموح | ٦ - الكسول. |
| ٧ - الصدوق | ٨ - الكذوب. |

- | | |
|--------------------|------------------------------|
| ٩ - المستقيم | ١٠ - المراوغ . |
| ١١ - الحكيم | ١٢ - المتهور . |
| ١٣ - العقلاني | ١٤ - العاطفي . |
| ١٥ - الجريء | ١٦ - الجبان . |
| ١٧ - الهادئ | ١٨ - المشاغب . |
| ١٩ - الصامت | ٢٠ - الثرثار . |
| ٢١ - الفصيح | ٢٢ - العبي . |
| ٢٣ - الذكي | ٢٤ - الغبي . |
| ٢ - المبادر | ٢٦ - السلبي . |
| ٢٧ - الناقد | ٢٨ - المؤيد . |
| ٢٩ - المشجع | ٣٠ - المثبط . |
| ٣١ - المتزن نفسياً | ٣٢ - المريض نفسياً . |
| ٣٣ - المحب للآخرين | ٣٤ - المحب لذاته (الأناني) . |
| ٣٥ - المتعاون | ٣٦ - المعوق . |
| ٣٧ - حسن الظن | ٣٨ - سيء الظن . |
| ٣٩ - الحلیم | ٤٠ - الغضوب . |
| ٤١ - العالم | ٤٢ - الجاهل . |

اتجاهات الحكم والتقدير

خلال تعاملنا مع الآخرين في مجال العمل (أو في أي مجال آخر) نقوم بإدراك تصرفاتهم وتكوين الانطباعات عنهم. وتقودنا هذه الانطباعات إلى افتراض أسباب معينة لتصرفاتهم، وتجعلنا نتنبأ بالطريقة التي سيتصرفون بها في المستقبل.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل الانطباعات التي نكونها عن الآخرين انطباعات صحيحة أم خاطئة؟

في الحقيقة أنه يصعب الإجابة عن هذا السؤال لأننا لا نملك معايير موضوعية تحدد لنا ما هو الانطباع الصحيح وما هو الانطباع الخاطئ. إلا أننا نستطيع أن نؤكد بأن انطباعاتنا عن الآخرين تتأثر إلى حد كبير بالعديد من العوامل الذاتية كالميول، والمشاعر، والقيم، والأفكار المسبقة... إلخ، وكذلك تتأثر بانطباعاتنا نحن عن أنفسنا.

ومن المهم أن يفهم المرء أن هناك العديد من الاتجاهات الإنسانية التي تقود إلى أحكام غير سليمة عن الأشياء والأفراد. ويعتبر إدراك هذه الحقيقة نقطة البداية السليمة نحو التخلص من

آثارها السلبية على الحكم والتعامل مع الآخرين، إذ من الممكن عند تعامل الأفراد مع بعضهم بعضاً أن تكون هناك تحيزات أو أخطاء في التصور والإدراك.

وسوف نناقش فيما يلي بعض العوامل التي تؤثر على الحكم والتقدير والتي يطلق عليها اتجاهات الحكم والتقدير (Judgement And perception). ونهدف من خلال هذا العرض إلى التأكيد على ضرورة إدراك وفهم تأثيرات هذه الاتجاهات على سلامة الحكم والتقدير، وهذه الاتجاهات هي:

(١) الانطباع الأول (FIRST IMPRESSION):

يتم تكوين الانطباعات عن الآخرين مبكراً جداً في تاريخ العلاقات بين الأفراد، ويمثل ذلك الاتجاه مشكلة عندما يكون الانطباع الأول هو انطباع خاطيء، ذلك لأن من خصائص الانطباع الأول أنه مستقر، ويدوم لفترة زمنية طويلة نسبياً، ومن الصعب تغييره.

وفي العادة يستغرق اللقاء الأول بين الأفراد وقتاً قصيراً نسبياً، ومن ثم فإن الانطباعات المبكرة تكون معتمدة على معلومات محدودة عن الأفراد. ولذا فإن هناك احتمالات كبيرة أن يكون الانطباع الأول انطباعاً خاطئاً.

إن الفكرة الأساسية التي نقدمها هنا هي أنه يجب أن يدرك الإنسان التأثيرات القوية للانطباع الأول، وأن يكون

قادراً على تعديل انطباعاته بما يتلاءم مع توافر معلومات إضافية عن الأفراد من خلال تكرار التعامل معهم، بدلاً من الثبات على الانطباع الذي يكون في ظل كمية محدودة من المعلومات.

(٢) التأثير العام (HALO EFFECT):

المقصود بالتأثير العام هو تقويم عنصر أو خاصية واحدة عن الأفراد ومن ثم تعميم هذا التقويم على باقي العناصر أو الخصائص المرتبطة بالأفراد. وفي أحيان كثيرة يكون هذا التعميم تعميماً خاطئاً، حيث أن التقويم الجيد أو السيء لعنصر واحد لا يعني بالضرورة أن باقي العناصر مشابهة له.

وعادة ما يحدث التقويم الخاطئ في حالة تقويمنا لجانب أو عنصر نعتبره هاماً، فعلى سبيل المثال: إذا كنا نهتم بأسلوب الآخرين في الحديث، فإنه يمكن أن نحكم حكماً إيجابياً أو سلبياً بصفة عامة على فرد ما من مجرد تقويم سلوكه فيما يتعلق بالحديث.

ويجب أن يدرك الإنسان أبعاد التأثير العام أو التعميم الخاطئ، حيث قد يتأثر في تقويمه للأفراد بجوانب محدودة يعتبرها هامة ويتجاهل جوانب أخرى كثيرة في الأفراد. أن خطورة التأثير العام تكمن في التعميم الخاطئ والذي يقود بدوره إلى سلوكيات معينة تؤثر بشكل كبير على العلاقة مع الآخرين.

(٣) النظريات الضمنية عن الشخصية:

تشير الدراسات إلى أن كل فرد منا هو عالم نفس مبتدئ، حيث أننا جميعاً لدينا اتجاهات نحو تصنيف الآخرين طبقاً لأنماط مختلفة من الشخصية، ويمثل كل نمط مجموعة من الخصائص الفردية.

من الثابت أن الانطباع الذي نكوّنه عن شخص آخر لا ينشأ نتيجة جمع بسيط لصفاته الإيجابية والسلبية، بل إن علاقة هذه الصفات بعضها ببعض هي التي تحدد الانطباع بحيث أن أي تغيير في أية صفة من هذه الصفات قد يؤدي إلى تعديل مجمل الانطباع.

أعطى أحد الباحثين مجموعة من الأشخاص قائمة تتضمن الصفات الآتية عن شخص معين: ذكي، لبق، ماهر، دافئ، مصمم، عملي، حذر. فيما أعطى مجموعة أخرى من الأشخاص القائمة نفسها مستبدلاً فقط كلمة «دافئ» بكلمة «بارد»، وطلب من كل مجموعة أن تعبر عن انطباعاتها عن الشخص الموصوف. وقد ظهر أن انطباعات الأولى (حيث توجد في قائمتها دافئ) تحدثت عن شخص كريم ومرح وعفوي، في حين تحدثت المجموعة الثانية (حيث توجد في قائمتها كلمة بارد) عن شخص أناني. ومن هنا نلاحظ أن استبدال صفة واحدة فقط أدى إلى تعديل هام في الانطباع العام. لذا فإن انطباعاتنا عن الآخرين تتأثر إلى حد كبير ببعض صفاتهم الشخصية التي نعلق عليها أهمية خاصة.

(٤) الأنماط المحفوظة (STEREOTYPING):

وتسمى أيضاً القوالب المنمطة أو الجاهزة، وبمعنى آخر هي أحكامنا المسبقة وانطباعاتنا عن الآخرين، حيث تتأثر انطباعاتنا عن الآخرين في أغلب الأحيان بأحكامنا المسبقة. فكل منا يحمل في ذهنه أحكاماً مسبقة، أي تلك الأحكام (الإيجابية أو السلبية) الراسخة في أذهاننا حول مهنة معينة أو مركز وظيفي معين أو جماعة معينة أو شخص ما. ولا شك أن هذه الأحكام المسبقة تؤثر تأثيراً كبيراً على الانطباعات التي نكونها عن الآخرين الذين يحتلون هذا المركز، أو ينتمون إلى هذه المهنة أو هذه الجماعة، أو لهم صلة قرابة بهذا الشخص أو يشبهونه.

وتكمن المشكلة هنا في أن هذا التعميم من المجموعة إلى الفرد قد يكون تعميماً خاطئاً، ذلك لأنه على الرغم من أن هناك خصائص عامة للأفراد الذين ينتمون إلى مجموعة معينة، إلا أن هناك (ولا شك) اختلافات فردية. وتكبر مشكلة هذا التعميم عندما تكون الأنماط المحفوظة نفسها أنماطاً متقدمة أو خاطئة.

(٥) عمل الاستنتاجات السببية (MAKING CAUSAL INFERENCES):

لا شك أننا جميعاً نرغب في معرفة الأسباب التي تكمن وراء سلوك الآخرين، ومن الملاحظ أن كثيراً من الناس يقعون في أخطاء كثيرة عند تحديدهم لهذه الأسباب، حيث يختلف

أسلوب التفكير في تحديد أسباب السلوك في حالة ما إذا كان هذا التحديد مرتبط بسلوكنا نحن أو مرتبط بسلوك الآخرين.

ففي حالة تفسير أسباب السلوك والنتائج بالنسبة للآخرين، فإننا نميل بصفة عامة إلى تفسيرها بأسباب شخصية ترجع لشخصيات الآخرين مباشرة، ونقلل من أهمية الأسباب المرتبطة بالبيئة المحيطة بهم. بينما في حالة تفسير سلوكنا أو النتائج التي تترتب على سلوكنا نحن، فإن التفسيرات تختلف باختلاف نوعية النتائج. ففي حالة النتائج الجيدة نفسر السلوك والنتائج بعناصر ترتبط بنا شخصياً، أما في حالة النتائج السيئة، فإننا نفسر السلوك والنتائج بعناصر مرتبطة بالبيئة المحيطة بنا.

ولا شك أن ظاهرة تفسير الآخرين بأسباب شخصية وتفسير سلوكنا بأسباب شخصية فقط في حالة النجاح، يعني أننا عادة ما نغفل تأثير العناصر البيئية على الآخرين، ومن ثم فقد نصل إلى استنتاجات سببية خاطئة فيما يتعلق بالآخرين، ويؤثر ذلك على علاقاتنا معهم واتصالاتنا بهم.

(٦) انتماؤنا الاجتماعي وانطباعاتنا عن الآخرين:

يؤثر انتماؤنا إلى جماعة معينة كشعب أو أسرة أو جماعة مهنية معينة على إدراكنا الفردي للجماعات الأخرى. فنحن نقوم بتقويم الجماعات الأخرى متأثرين بالمعلومات التي نقلتها إلينا عنهم الجماعة التي ننتمي إليها، ويتولد لدينا عن هذا

الطريق مدركات ثابتة عن هذه الجماعات الأخرى. وهذا العامل يمكن أن نقول أنه نوع من أنواع «الأنماط المحفوظة» (Stereotyping).

(٧) صورتنا عن أنفسنا وانطباعاتنا عن الآخرين:

تتأثر انطباعاتنا (الإيجابية أو السلبية) عن الآخرين بصورتنا نحن عن أنفسنا. فالصورة الإيجابية عن أنفسنا قد تفسح المجال لواحد من احتمالين:

أ - إما أن نُسَقِط ونعمم هذه الصورة على الآخرين، فنكوّن انطباعاتاً إيجابياً عنهم وعلى وجه الإجمال.

ب - وإما أن تولّد لدينا هذه الصورة شعوراً بالاستعلاء على الآخرين، وهو الشعور الذي قد يصرّ لنا الآخرين على أسوأ حال.

أما الصورة السلبية عن أنفسنا فقد تفسح المجال هي أيضاً لواحد من احتمالين:

أ - إما أن نُسَقِط ونعمم هذه الصورة على الآخرين، فنكون انطباعاتاً سلبياً عنهم على وجه الإجمال.

ب - وإما أن تولّد لدينا هذه الصورة شعوراً بالدونية تجاه الآخرين، وهو الشعور الذي يصرّ لنا الآخرين على أفضل حال.

(٨) سلوك الآخرين وانطباعاتنا عنهم:

الواقع أننا نكون انطباعاتنا عن الآخرين من خلال مؤشرات بسيطة تتعلق بسلوكهم في مواقف معينة. أما المعلومات التي تنقصنا عنهم فإننا نميل إلى أن نضيفها من عند أنفسنا لتساعدنا في النهاية على تكوين انطباع عام عن هؤلاء الآخرين.

ولكي نجنب أنفسنا بذل الجهد الكافي لجمع المعلومات عن الآخرين، فإننا نكتفي بالقليل من هذه المعلومات ونقوم باستخلاص معلومات أخرى عن طريق الاستنتاج الشخصي، لنصل في النهاية إلى تكوين الانطباع عن شخص آخر، هذا الانطباع هو الذي يوجه تعاملنا معه. وبالاستناد إلى هذه الانطباعات الأولية نبنى أحكاماً عن الآخرين التي غالباً ما تكون أحكاماً متسرعة وخاطئة، ومع ذلك فإن هذه الأحكام تتميز غالباً بالثبات ومقاومة التغيير^{(١)(٢)}.

(١) ثابت إدريس، مهارات التعامل مع الجمهور، ورقة علمية مقدمة لبرنامج خاص لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، شركة الإبداع الخليجي، الكويت، ١٨ - ١٢/٢٢/١٩٩٣، ص ٨٢ - ٨٧.

(٢) زهير الكايد، ماهية السلوك الإداري والعلاقات السلوكية المتبادلة، ورقة علمية مقدمة لبرنامج المهارات السلوكية والإدارية للمديرين، ١٥ - ١٨ / ١٩٩٠/٩، معهد التنمية الإدارية، أبو ظبي، ص ٨ - ١٠.

حسن الانتقاء يقي عواقب السوء

الأصحاب والأصدقاء هم أكثر من يتعامل الإنسان معهم، لذا ينبغي أن يحسن اختيارهم، ويتقن انتقاءهم، وإلا فإنه سيكون على خطر عظيم، ذلك لأن درهم وقاية خير من قنطار علاج، ولأن عاقبة الصحبة السيئة وخيمة مؤلمة.

يقول الشيخ محمد الغزالي: «وأثر الصديق في صديقه عميق، ومن ثم كان لزاماً على المرء أن ينتقي إخوانه وأن يبلو حقائقهم حتى يطمئن إلى معدنها، فإن كانوا رجالاً يعينونه على أداء الواجب وحفظ الحقوق، ويحجزونه عن السوء واقتراف الحرام، فهم قرناء الخير الذي يجب أن يستمسك بهم، ويحرص على مودتهم، وإلا فليحذر الانخداع بمن يزينون له طريق الغواية، أو يسترسلون معه في أسباب اللغو واللهو، وقد شوهد أن عدوى السيئات أشد سرياناً وأقوى فتكاً من عدوى الحسنات، وخير من يستديم المرء عشرتهم ويستبقي للدنيا والآخرة مودتهم أولئك الذين عناهم الأثر: «من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم،

فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوته»^(١).

لقد حذر القرآن الكريم، كما حذر الرسول ﷺ كذلك السلف رضوان الله عليهم من مغبة صحبة الأشرار، ودعوا كثيراً إلى مصاحبة الصالحين، لذا يقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ﴿٢٧﴾ يَتَوَلَّى لَيْتَنِي لَوْ أَخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾^(٢).

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزْكُرُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾^(٣).

ويقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آبِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطع مَن أَغفلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرطًا ﴿٧٨﴾﴾^(٥).

(١) محمد الغزالي، خلق المسلم، دار القلم، دمشق، ١٩٨٧، ص ١٩٧ - ٢٠٦ (بتصرف محدود).

(٢) سورة الفرقان: الآيات ٢٧ - ٢٩.

(٣) سورة هود: الآية ١١٣.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٦٨.

(٥) سورة الكهف: الآية ٢٨.

وقال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٦٧) يَتَعَبَدُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ (١).

وقال رسول الله ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي» (٢).

وقال ﷺ: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد: لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة» (٣).

وقال رسول الله ﷺ: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخال» (٤).

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما أعطي عبد بعد الإسلام خيراً من أخ صالح، فإذا رأى أحدكم وداً من أخيه فليتمسك به» (٥).

ويقول عمر بن الخطاب كذلك: «لولا أن أسير في

(١) سورة الزخرف: الآيتان ٦٧ - ٦٨.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

(٥) محمد أحمد الراشد، الرقائق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧، ص

سبيل الله، أو أضع جبيني لله في التراب، أو أجالس قوماً يلتقطون طيب القول كما يلتقط طيب الثمر لأحبيت أن أكون لحقت بالله»^(١).

ويقول زين العابدين رحمه الله: «إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه»^(٢).

ويقول مالك بن دينار: «لم يبق من روح الدنيا إلا ثلاثة: لقاء الإخوان والتهجد بالقرآن، وبيت خال يذكر الله فيه»^(٣).

ويقول الحسن البصري رحمه الله: «إن لك من خليلك نصيباً، وإن لك نصيباً من ذكر من أحببت، فتنقوا الإخوان والأصحاب والمجالس»^(٤).

وقال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه: «يا بني لا تجلس في المجلس الذي لا يذكر فيه الله عز وجل، فإنك إن تك عالماً لا ينفعك علمك، وإن تك غيباً يزيدوك غباءً، وإن يطلع الله عليهم بسخط يصيبك معهم. يا بني اختر المجالس على عينك، فإذا رأيت المجلس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم، فإنك إن تك عالماً ينفعك علمك، وإن تك غيباً يعلموك، وإن يطلع الله عليهم بعد ذلك برحمة تصيبك معهم».

(١) محمد أحمد الراشد، الرقائق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧، ص ٧٣-٧٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٧٢.

(٤) المصدر السابق، ص ٧٢ - ٧٣.

ويقول ابن القيم رحمه الله: «اجتماع الإخوان قسمان: اجتماع على مؤانسة الطبع وشغل الوقت، فهذا مضرته أرجح من منفعته، وأقل ما فيه أنه يفسد القلب ويضيع الوقت. واجتماع بهم على التعاون على أسباب النجاة والتواصي بالحق والصبر، فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها».

ويقول أحمد بن عطاء: «مجالسة الأضداد ذوبان الروح، ومجالسة الأشكال تلقيح العقول، وليس كل من يصلح للمجالسة يصلح للمؤانسة، ولا كل من يصلح للمؤانسة يؤمن على الأسرار، ولا يؤمن على الأسرار إلا الأمانة فقط»^(١).

وقال بعض السلف الصالح: «أين مثل الأخ الصالح، أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت، وهو منفرد بحزنك، مهتم بما قدمت وما صرت إليه، يدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى»^(٢).

وعن أبي قلابة قال: «التقى رجلان في السوق فقال أحدهما للآخر: تعال نستغفر الله في غفلة الناس، ففعلا، فمات أحدهما، فلقيه الآخر في النوم، فقال: علمت أن الله غفر لنا عشية التقينا في السوق»^(٣).

-
- (١) عدنان الرومي وعلي الهزاع، نفائس الحلة في التأخي والخلة، جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعي، دبي، غير محدد سنة الطبع، ص ١٧، ٣٢.
 (٢) جاسم مهلهل الياسين، الأخوة، دار الدعوة، الكويت، ١٩٨٥، ص ٥٠-٦٣.
 (٣) محمد الغزالي، خلق المسلم، دار القلم، دمشق، ١٩٨٧، ص ٢٠٣.

ويقول بلال بن سعد: «أخ لك كلما لقيك ذكرك بنصيبك
من الله وأخبرك بعيب فيك، أحب إليك وخير لك من أخ كلما
لقيك وضع في كفك ديناراً»^(١).

* ويقول الشاعر عدي بن زيد العبادي:

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

* وقال التابعي الجليل لبيد بن ربيعة:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه
والمرء يصلحه القرين الصالح

* ويقول الشاعر:

إذا كان الغراب دليل قوم
يدليهم على جيف الكلاب
وفي رواية أخرى:

إذا كان الغراب دليل قوم
يدليهم على أرض الخراب

(١) إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، ج ٩، دار الكتب العلمية، بيروت،

* ويقول الشاعر:

أنت في الناس تقاس

بالذي اخترت خليلاً

فاصحب الأخيار تعلو

وتنل ذكراً جميلاً

صحبة الخامل تكسو

من يواخيه خمولاً

* ويقول الشاعر:

ذو النقص يصحب مثله

والشكل يألف شكله

فاصحب أخا الفضل لكي

تقفو بفعلك فعله

* ويقول آخر:

وقلت: أخ!! قالوا: أخ من قرابة؟

فقلت لهم: إن الشكول أقارب

صديقي في حزمي وعزمي ومذهبي

وإن باعدتنا في الأصول المناسب

المهارة الكبرى والقاعدة العظمى

رغم أن مهارات الاتصال والتعامل مع الآخرين كثيرة ومتعددة ومتشعبة، إلا أن هناك مهارة كبرى، وأصل أصيل، وقاعدة تبني عليها قواعد التعامل الأخرى، هذه القاعدة هي «حسن الخلق».

فلا نجاح ولا توفيق في التعامل مع الآخرين بدون هذا الأصل المتين، ولذلك بيّن الرسول ﷺ هذه القاعدة الجليلة حينما قال لأبي ذر رضي الله عنه: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»^(١).

لقد ركز الإسلام على هذه القاعدة أيما تركيز، بل مدح الله نبيه محمد ﷺ بهذه الصفة فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ خلقه القرآن»^(٣).

(١) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

(٢) سورة القلم: الآية ٤.

(٣) رواه مسلم.

وعن أنس رضي الله عنه قال: سأل رجل رسول الله ﷺ عن حسن الخلق، فتلا قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١)، ثم قال ﷺ: «هو أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك» (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (٣).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق» (٤).

وقال الفضيل: قيل لرسول الله ﷺ: إن فلانة تصوم النهار، وتقوم الليل، وهي سيئة الخلق، تؤذي جيرانها بلسانها، قال: «لا خير فيها، هي من أهل النار» (٥).

وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء، ولما خلق الله الإيمان قال: اللهم قوّني، فقواه بحسن الخلق والسخاء، ولما خلق الله الكفر قال: اللهم قوّني، فقواه بالبخل وسوء الخلق» (٦).

(١) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه أحمد والحاكم والبيهقي.

(٤) رواه أبو داود والترمذي وصححه.

(٥) رواه أحمد.

(٦) رواه أبو داود والترمذي، وقال حسن صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله ﷺ أي المؤمنين أفضل إيماناً؟ قال: «أحسنهم خلقاً»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعواهم ببسط الوجه وحسن الخلق»^(٢).

وعن أسامة بن شريك قال: شهدت الأعرابي يسألون النبي ﷺ، يقولون: ما خير ما أعطى العبد؟ قال: «خلق حسن»^(٣).

وقال ﷺ: «إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»^(٤). وكان من دعائه ﷺ في افتتاح الصلاة: «اللهم اهدي لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت»^(٥).

وقال أنس رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «إن العبد ليلبغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل، وإنه لضعيف في العبادة»^(٦).

(١) رواه أبو داود والترمذي والنسائي.

(٢) رواه البزار وأبو يعلى والطبراني، ورجاله ثقة.

(٣) رواه أحمد وابن ماجه.

(٤) رواه أحمد والطبراني.

(٥) رواه مسلم عن علي.

(٦) رواه الطبراني وغيره بإسناد جيد.

وعن أنس أيضاً قال: قال ﷺ: «إن العبد ليلبغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم»^(١).

وقال يحيى بن معاذ: «في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق». وقال وهب بن منبه: «مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة، لا ترقع ولا تعاد طيناً».

وقال الفضيل: «لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إليّ من أن يصحبني عابد سيء الخلق».

وصحب ابن المبارك رجلاً سيء الخلق في سفر، فكان يحتمل منه ويداريه، فلما فارقه بكى، فقيل له في ذلك فقال: «بكيته رحمة له، فارقتة وخلقته معه لم يفارقه».

وقال الجنيد: «أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات، وإن قل عمله وعلمه: الحلم، التواضع، السخاء، حسن الخلق وهو كمال الإيمان».

وقال الكنانى: «التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف».

وقال عمر رضي الله عنه: «خالطوا الناس بالأخلاق وزايلوهم بالأعمال».

وقال يحيى بن معاذ: «سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات، وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات».

(١) رواه الطبراني وغيره، بإسناد جيد.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: «لكل بنيان أساس، وأساس الإسلام حسن الخلق».

وقال عطاء: «ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن، ولم ينل أحد كماله إلا المصطفى ﷺ»^(١).

وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال: «هو أن يكون كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الإصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، براً وصولاً، وقوراً صبوراً، شكوراً رضيعاً، حليماً رفيقاً، عفيفاً شفيقاً، لا لعاناً ولا سباباً، ولا ناماً ولا مغتاباً، ولا عجولاً، ولا حقوداً، ولا بخيلاً ولا حسوداً، بشاشاً هشاشاً، يحب في الله، ويبغض في الله، ويرضى في الله، ويبغض في الله، فهذا هو حسن الخلق»^(٢).

(١) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٢، ص ٨٢.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠٧.

﴿ رَغِمَ أَنْفٌ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ ﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما، فلم يدخل الجنة»^(١).

إن أهم من ينبغي إحسان التعامل معهما هما الوالدان، إذ أن شأنهما عظيم عند الله تعالى، وقد قرن الله تعالى الإحسان إليهما بعبادته، فقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾^(٢).

بل نهى الله تعالى أن يجرح المسلم والديه ولو بكلمة واحدة وهي «أف»، فقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾^(٣).

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة النساء: الآية ٣٦.

وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ (١).

وقال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ ﴿١٤﴾ (٢).

وروى البخاري ومسلم عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «الصلاة على وقتها»، قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين»، قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله».

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه، فيعتقه».

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أبوك».

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال:

(١) سورة الإسراء: الآيتين ٢٣ - ٢٤.

(٢) سورة لقمان: الآية ١٤.

أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ، فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى، فقال الرسول ﷺ: «فهل لك من والديك أحد حي؟» قال: نعم، بل كلاهما، فقال الرسول ﷺ: «فتبتغي الأجر من الله تعالى؟» قال: نعم، فقال الرسول ﷺ: «فارجع إلى والديك، فأحسن صحبتهما»^(١). وفي رواية لهما: جاء رجل فاستأذنه في الجهاد، فقال: «أحي والداك؟ قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد».

وروى البخاري ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه قالت: قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ، فاستفتيت رسول الله ﷺ، قلت: قدمت على أمي وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: «نعم صلى أمك». وقولها: «راغبة»، أي طامعة عندي تسألني شيئاً، وقيل كانت أمها من النسب، وقيل: من الرضاعة، والصحيح الأول.

وروى البخاري ومسلم عن أبي بكر بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» - ثلاثاً - قلنا: بلى يا رسول الله: قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» وكان متكئاً فجلس، فقال: «ألا وقول الزور وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت.

(١) متفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «الكبائر: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس»^(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «من الكبائر شتم الرجل والديه!» قالوا: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟! قال: «نعم، يسب أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه»^(٢). وفي رواية: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه!» قيل: يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه؟! قال: «يسب أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه، فيسب أمه».

ولقد كرم الإسلام الوالدين بأن جعل بر أصدقائهما من برهما بعد مماتهما، فعن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمار يتروح عليه إذا مل ركوب الراحلة، وعمامة يشد بها رأسه، فبينما هو يوماً على ذلك الحمار إذ مر به أعرابي، فقال: أأنت ابن فلان بن فلان؟ قال: بلى، فأعطاه الحمار، فقال: اركب هذا، وأعطاه العمامة وقال: اشدد بها رأسك، فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك أعطيت هذا الأعرابي حماراً كنت تروح عليه، وعمامة كنت تشد بها رأسك؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي»،

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

وإن أباه كان صديقاً لعمر رضي الله عنه^(١).

وروى الإمام أبو داود عن أبي أسيد - بضم الهمزة وفتح السين - مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال: بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ فقال: «نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما»^(٢).

وروى الإمام الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنني أصبت ذنباً عظيماً، فهل لي من توبة؟ قال: «هل لك من أم؟» قال: لا، قال: «هل لك من خالة؟» قال: نعم، قال: «فبرها».

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، يريد أبي أن يأخذ مالي، فقال رسول الله ﷺ: «أنت بأبيك عندي»، فلما جاء أبوه، قال رسول الله ﷺ: «يقول ابنك أنت تأخذ ماله»، قال: سله يا رسول الله لا مصرف لماله إلا عماته وقرابته، أما أصرفه على نفسي وعيالي؟ فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا رسول الله، قال هذا الشيخ في نفسه شعراً ما وصل إلى أذنه، فسأله

(١) رواه مسلم.

(٢) يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٩٨٣، ص ١١٦ - ١٢٧.

رسول الله ﷺ: «هل قلت في نفسك شعراً؟» فاعترف الشيخ وقال: لا يزال يزيدنا الله تعالى بك بصيرة و يقيناً، وعرض سبعة أبيات نظمها في نفسه، وهي:

غذوتك مولوداً وصننتك يافعا

تعل بما أجنبي عليك وتنهل

إذا ليلة ضاقت بك السقم لم أبت

لسقمك إلا ساهراً أتململ

تخاف الردى نفسي عليك وإنها

لتعلم أن الموت حتم موكل

كأني أنا المطروق دونك بالذي

طرقت به دوني فعيني تهمل

فلما بلغت السن والغاية التي

أتتك مراماً فيه كنت أوْمَل

جعلت جزائي غلظة وفضاظة

كأنك أنت المنعم المتفضل

فليتك إذ لم ترع حق أبوتي

فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال جابر: فبكى رسول الله ﷺ، ثم أخذ تلبيب ابنه

وقال له: «اذهب، فأنت ومالك لأبيك»^(١).

(١) رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد: وله طرق مختصرة رجال إسنادها رجال الصحيح، ونسب بعضهم هذه الأبيات لأمية بن أبي الصلت.

وذكروا أن أويسا القرني رحمه الله ما منعه من رؤية رسول الله ﷺ - وكان قد آمن به قبل موته - إلا بره بوالدته حيث كان يرعاها في اليمن، ورسول الله ﷺ في المدينة المنورة، فكان رحمه الله من أبر الناس بأمه، حيث جاء في الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة بها بار، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن تستغفر لك فافعل»، وفي رواية: «إن خير التابعين رجل يقال له أويس، وله والدة، وكان به بياض، فمروه فليستغفر لكم»^(١).

وعن أبي غسان الضبي، قال: خرجت أمشي مع أبي بظهر الحرة، فلقيني أبو هريرة رضي الله عنه، فقال لي: من هذا؟ قلت: أبي، قال: «لا تمش بين يدي أبيك، ولكن امش خلفه أو إلى جانبه، ولا تدع أحداً يحول بينك وبينه، ولا تمش فوق أجار (سطح) أبيك تخفه، ولا تأكل عرقاً قد نظر أبوك إليه لعله قد اشتهاه»^(٢).

وعن محمد بن سيرين، قال: بلغت النخلة على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ألف درهم، قال: فعمد أسامة

(١) رواه مسلم.

(٢) نذير محمد مكتبي، صفحات مشرقة من حياة السابقين، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٩٢، ص ٢٣٦.

رضي الله عنه إلى نخلة، فنقرها، وأخرج جمارها، فأطعمها أمه، فقالوا له: ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم؟ قال: إن أمي سألتني، ولا تسألني شيئاً أقدر عليه إلا أعطيتها^(١).

وذكروا أن أعرابياً حمل أمه على ظهره، وراح يطوف بها حول البيت، وهو يقول:

إني لها مطية لا أذعر

إذا الركاب نفرت لا أنفر

ما حملت وأرضعتني أكثر

الله ربي ذو الجلال أكبر

ثم التفت إلى ابن عباس، وقال: أتراني قضيت حقها؟

قال: لا والله ولا طلقة من طلاقاتها. (أخرج البيهقي في «شعب الإيمان» نحوه عن عمر بن حماد)^(٢).

وقال ابن عمر رضي الله عنه لرجل: أتخاف النار أن

تدخلها، وتحب الجنة أن تدخلها؟ قال: نعم، قال: بر أمك،

فوالله لئن ألتت لها الكلام، وأطعمتها الطعام، لتدخلن الجنة ما

اجتنبت الموجبات^(٣).

(١) نذير محمد مكتبي، صفحات مشرقة من حياة السابقين، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٩٢، ص ٢٣٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٣٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٣٢.

وروي عن عمر: أن رجلاً قال له: قتلت نفساً؟ قال: أمك حية؟ قال: لا، قال: فأبوك؟ قال: نعم، قال: فبره وأحسن إليه، ثم قال عمر: لو كانت أمه حية فبرها وأحسن إليها، رجوت أن لا تطعمه النار أبداً. وقال مكحول والإمام أحمد: «بر الوالدين كفارة الكبائر»^(١).

وروي ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٣/٢٦٨): أن زين العابدين كان كثير البر بأمه، حتى قيل له: إنك أبر الناس بأمك، ولسنا نراك تأكل معها في صفحة! فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها، فأكون قد عققتها^(٢).

وروي كذلك ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٤/٣٦): أن الفضل بن يحيى كان في السجن مع أبيه، فلم يقدر على تسخين الماء، فكان الفضل يأخذ الإبريق النحاس وفيه الماء، فيلصقه إلى بطنه زماناً عساه تنكسر برودته بحرارة بطنه حتى يستعمله أبوه بعد ذلك.

وفي رواية أخرى: قال المأمون: لم أر أحداً أبر من الفضل بن يحيى بأبيه، بلغ من بره به أن يحيى كان لا يتوضأ إلا بماء مسخن، وهما في السجن، فمنعهما السجنان من إدخال الحطب في ليلة باردة، فقام الفضل حين أخذ يحيى مضجعه إلى قمقم كان يسخن فيه الماء، ثم أدناه من نار المصباح، فلم

(١) نذير محمد مكتبي، صفحات مشرقة من حياة السابقين، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٩٢، ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٣٣.

يزل قائماً وهو في يده حتى أصبح^(١).

وقيل لعمر بن ذر: كيف كان بر ابنك بك؟ قال: ما مشيت نهراً قط إلا مشى خلفي، ولا ليلاً إلا مشى أمامي، ولا رقي سطحاً وأنا تحته^(٢).

وقال أبو يوسف: حلفت أم أبي حنيفة بيمين، فقالت له: سل القاص (وكان خالي أبو طالب يقص، وكانت أم أبي حنيفة تحضر مجلسه)، فدعاه أبو حنيفة، وسأله، وقال: إن أمي حلفت عليّ يمين وأمرتني أن أسألك، فكرهت خلافها، فقال له أبو طالب: فأفتني بالجواب! فقال أبو حنيفة: الجواب كذا، قال: قل لها عني أن الجواب كذا وكذا! قال: فأخبرها، فرضيت بقول القاص. وقال أبو إسحاق الرقي الحنبلي في ترجمة عبد الله بن عون: ونادته أمه، فعلا صوته صوتها، فأعتق رقبتي^(٣).

مما سبق يتضح لنا ضرورة بر الوالدين والإحسان في معاملتهما حتى لو كانا كافرين، فلا يليق بالمسلم أن يحسن تعامله مع الآخرين ويُفَرِّط في حق والديه.

إن بر الوالدين يعني طاعتهما طاعة كاملة في غير معصية، وعدم مخالفتهما، والسعي لإرضائهما، وعدم رفع

(١) نذير محمد مكتبي، صفحات مشرقة من حياة السابقين، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٩٢، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٣٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٣٨.

الصوت فوق أصواتهما، وقضاء حوائجهما، وتلبية رغباتهما، وتفقد أحوالهما، والإحسان إلى أصدقائهما وأقاربهما، وغيرها من صور البر والإحسان. إنه بحق أهم ميدان من ميادين حسن التعامل مع الآخرين، فمن فاز به فقد فاز بخيري الدنيا والآخرة، ومن خسره فقد خسر خسراً مبيناً.



﴿ قواعد وفنون التعامل مع الناس ﴾

بعد الإشارة إلى قاعدة حسن الخلق، وهي القاعدة الكبرى التي ينبغي أن تُبنى عليها قواعد التعامل وفنونه المتعددة، نود أن نتناول أهم الفنون والمبادئ التي يمكن بها تحسين التعامل مع الآخرين ورفع مستوى جودته.

ولقد تكلم كثير من الباحثين في هذا الموضوع، وحاول كل منهم تناوله من خلال اهتماماته وتخصصه، مع وجود بعض المحاولات التي سعت إلى إجمال هذه الفنون والمهارات، ومثال ذلك، الأسس العشرة التي تنضوي تحت حروف الكلمة الإنجليزية (HUMAN TOUCH) أي اللمسة الإنسانية وذلك على النحو التالي^(١):

١ - استمع إليه H - Hear Him .

٢ - احترام شعوره U - Understand his feelings .

(١) عوض رزق الله أحمد، العلاقات الإنسانية ودورها في إدارة المؤسسات، ورقة علمية مقدمة لبرنامج المهارات السلوكية والإدارية للمديرين، معهد التنمية الإدارية، أبو ظبي، ٢٢ سبتمبر ١٩٩٠، ص ١٣.

- ٣ - حرك رغبته . M - Motivate his desire
- ٤ - قدر مجهوده . A - Appreciate his efforts
- ٥ - مده بالأخبار . N - News him
- ٦ - دربه . T - Train him
- ٧ - أرشده . O - Open his eyes
- ٨ - تفهم تفردته . U - Understand his Uniqueness
- ٩ - اتصل به . C - Contact him
- ١٠ - أكرمه . H - Honour him

وسوف نتناول هذه القواعد وغيرها بشيء من التفصيل، ولكن ينبغي الانتباه إلى أن القواعد والفنون التي سوف نذكرها ليس بالضرورة استخدامها جميعاً في آن واحد، ومع جميع من يتم التعامل معهم، وفي كل الأحوال والظروف والأزمنة والأمكنة، ولكن ينبغي مراعاة عدد من الأمور قبل استخدام أية قاعدة، وهذه الأمور هي:

- ١ - الفرد الذي يتم التعامل معه وما يتناسب مع وضعه الاجتماعي والنفسي والثقافي والمالي والسياسي.. إلخ.
- ٢ - الزمان وما يناسبه.
- ٣ - المكان وما يناسبه.
- ٤ - الظروف والمستجدات والأحوال وما يناسبها.

اصبر لكل مصيبة وتجد

١

عندما يتعامل الإنسان مع الناس فإنه يتعرض إلى العديد من العقبات والمشكلات، فقد يتعرض إلى كلمة جارحة، أو مكيدة ماكرة، أو فظاظة منفرّة، وربما يتعرض إلى إيذاء شديد، أو ابتلاء طويل في ماله أو دينه أو عرضه أو بدنه. لذا ينبغي أن يتحلى المرء بالصبر الجميل، ويحتسب كل ذلك عند الله تعالى، ويكثر من الاستعانة به على مصائب الدهر.

والابتلاء سنة ماضية إلى يوم القيامة، لذا يقول الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ بِأَنْفُسِكُمْ﴾ (٣١) (١).

ويقول الله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِن عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٢).

ويقول الله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٤٥) (٣).

(١) سورة محمد: الآية ٣١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ٤٥.

ويقول الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٢٨) ﴿١﴾.

ويقول الله تعالى: ﴿وَلَتَنْبَلُوَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالتَّمَرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٥) ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١٥٦) ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (١٥٧) ﴿٢﴾.

وعن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له» (٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلماً اشتد بلاءه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرم البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة» (٤).

(١) سورة الكهف: الآية ٢٨.

(٢) سورة البقرة: الآيات ١٥٥ - ١٥٧.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وأحمد وغيرهم.

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «وجدنا خير عيشنا بالصبر». وقال أيضاً: «أفضل عيش أدركناه بالصبر، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريماً».

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قُطع الرأس بار الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له». وقال أيضاً: «الصبر مطية لا تكبو».

وقال الحسن: «الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده».

وقال عمر بن عبد العزيز: «ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه، فعاذه مكانها الصبر إلا كان ما عوّضه خيراً مما انتزعه».

وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل وقت ينظر فيها، وكان فيها: «واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لو كان الصبر والشكر بعيرين لم أبال أيهما ركبت».

وقال يونس بن زيد: سألت ربيعة بن أبي عبد الرحمن: ما منتهى الصبر؟ قال: «أن يكون يوم تصيبه المصيبة مثله قبل أن تصيبه»^(١).

(١) ابن القيم الجوزية، عدة الصابرين، دار الكتب العلمية، بيروت، غير محدد سنة الطبع، ص ٩٦ - ٩٨.

ويقول أبو العتاهية:

اصبر لكل مصيبة وتجلد

واعلم بأن المرء غير مخلد

أو ما ترى أن المصائب جمة

وترى المنية للعباد بمرصد

من لم يُصب ممن ترى بمصيبة؟

هذا سبيل لست فيه بأوحد

فإذا ذكرت محمداً ومصابه

فاذكر مصابك بالنبى محمد^(١)

ويقول الشاعر:

فلا تجزع لريب الدهر واصبر

فإن الصبر في العقبي سليم

فما جزع بمغن عنك شيئاً

ولا ما فات ترجعه الهموم

إذا ضاقت بك الأيام قهراً

فدم صبراً فضر لا يدوم

فبالصبر الجميل تنال أجراً

وتقضي بعد ذلك ما تروم

(١) أحمد المحاميد، الحب بين العبد والرب، دار الفكر للطباعة والتوزيع

فكم من محنة عظمت ودامت
 وخان مواصل وجفا حميم
 أتى فرج الإله لها صباحاً
 فما أمسى الهموم ولا الغموم

وقال أبو حاتم:

إذا اشتَمَلت على البؤس القلوب
 وضافت بما به الصدر الرحيب
 وأوطنت المكاره واطمأنت
 وأرست في مكانها الخطوب
 ولم تر لانكشاف الضر وجهاً
 ولا أغنى بحيلته الأريب
 أتاك على قنوط منك غوث
 يمن به اللطيف المستجيب

ويقول الشاعر:

وإذا عرتك بلية فاصبر لها
 صبر الكريم فإنه بك أعلم
 وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما
 تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

ويقول آخر:

وإذا بليت بعسرة فاصبر لها
 صبر الكرام فإن ذلك أحزم

لا تشكون إلى العباد، فإنما
تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم
ويقول الشافعي:

دع الأيام تفعل ما تشاء
وطب نفساً إذا حكم القضاء
ولا تجزع لحادثة الليالي
فما لحوادث الدنيا بقاء
وكن رجلاً على الأهوال جلداً
وشيمتك السماحة والسخاء
يغطي بالسماحة كل عيب
وكم عيب يغطي السخاء
ولا حزن يدوم ولا سرور
ولا عسر عليك ولا رخاء
ولا تُرِي الأعداء قط ذلاً
فإن شماتة الأعداء بلاء
ولا ترجو السماحة من بخيل
فما في النار للظمآن ماء
ورزقك ليس ينقصه التأنى
وليس يزيد في الرزق العناء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع
فأنت ومالك الدنيا سواء

ومن نزلت بساحته المنايا
 فلا أرض تقيه ولا سماء
 وأرض الله واسعة ولكن
 إذا نزل القضا ضاق الفضاء
 وقال آخر:

عسى الهم الذي أمسيت فيه
 يكون وراءه فرج قريب
 فيأمن خائف ويغاث عان
 ويأتي أهله النائبي الغريب

﴿ فيما رحمة من الله لنت لهم ﴾

نقصد بهذه القاعدة تغليب التعامل الإيجابي على التعامل السلبي، والرحمة على الشدة، والقرارات التي تجلب المنفعة والخير للآخرين على القرارات التي فيها مضرتهم وإيقاع الشر بهم.

إن بعض الناس يميلون إلى الفظاظة والرفض والشدة والقسوة وربما الإضرار بالآخرين من أجل أن يشبتوا وجودهم وهيمنتهم وسلطانهم فيخافهم الناس ويذّلوا بين أيديهم، ولا شك أن هذا مرض نفسي ابتلى به بعض المسؤولين.

إن هذا السلوك يؤدي إلى نفرة المرؤوس من رئيسه وبغضه له، وعدم الرغبة والحماسة في تنفيذ قراراته أو إخلاص النصيحة له، ولهذا يقول الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾^(١).

ويقول الرسول ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شأنه». وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يُحرم الرفق يُحرم الخير كله»^(١).

ويقول حماد بن مسلمة: مر رجل أسبل إزاره (إشارة إلى التكبر) على صلة بن أشيم، فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة فقال: دعوني، أنا أكفيكم، ثم قال للرجل: يا ابن أخي إن لي إليك حاجة، فقال الرجل: وما حاجتك يا عم؟ قال: أحب أن ترفع إزارك، فقال: نعم، حباً وكرامة، فرفع إزاره، فقال صلة لأصحابه لو قرعتموه لقال: لا، ولا كرامة، وشتمكم^(٢).

وقال محمد بن زكريا الغلابي: شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله، وإذا غلام من قريش سكران قد قبض على امرأة فجذبها، فاستغاثت، فاجتمع الناس يضربونه، فنظر إليه بن عائشة فعرفه، فقال للناس: تنحوا عن ابن أخي، ثم قال: إليّ يا ابن أخي، فاستحى الغلام فجاء إليه فضمه إليه ثم قال له: امض معي، فمضى معه حتى صار إلى منزله فأدخله الدار، فقال لبعض غلمانه: بيته عندك فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه ولا تتركه ينصرف حتى تأتيني به، فلما أفاق من سكره أعلمه بما كان منه فاستحى منه وبكى، وهم بالانصراف فقال

(١) رواه مسلم.

(٢) جمعة أمين، الدعوة قواعد وأصول، دار الدعوة، الإسكندرية، غير محدد سنة الطبع، ص ٥٤.

الغلام: قد أمر سيدي أن تأتيه، فأدخله عليه، فقال له ابن عائشة: أما استحييت لنفسك؟ أو ما استحييت لشرفك؟ أما استحييت من ولدك؟ فاتق الله وانزع عما أنت فيه، فبكى الغلام منكساً رأسه ثم رفع رأسه وقال: عاهدت الله عهداً يسألني عنه يوم القيامة أني لا أعود للشرب، ولا لشيء مما كنت فيه، وأنا تائب، فقال ابن عائشة: أدن مني، فقبل رأسه وقال: أحسنت يا بني، فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث، وكان ذلك ببركة الرفق^(١).

وجاء رقيق (غلام) لأبي ذر وقد كسر رجل شاة فقال له: من كسر رجل هذه؟ فقال الغلام: أنا فعلته عمدأ لأغيظك فتضربني فتأثم، فقال: أبو ذر: لأغيظن من حرضك على غيظي فأعتقه في سبيل الله^(٢).

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه قد يضطر الإنسان (أحياناً) أن يتعامل بشدة، وأن يتخذ القرار الأكثر قسوة وحزمأ من أجل مصلحة يقدرها، وهذا الأمر مطلوب (ولكن ليس دائماً)، ولذا يقول الشاعر:

فقسا ليزدجروا ومن يك راحماً
فليقس أحياناً على من يرحم

(١) جمعة أمين، الدعوة قواعد وأصول، دار الدعوة، الإسكندرية، غير محدد سنة الطبع، ص ٥٤ - ٥٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٥.

أمسك عليك هذا

٣

نعم، أمسك عليك هذه الجارحة الخطيرة، ألا وهي جارحة اللسان، حيث يقول الله تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (١).

إن للسان خطورة عظمى، إذ به يسلم الإنسان في الدنيا والآخرة وبه يعطب، وبه يقدم وبه يؤخر. ولا نبالغ إذا قلنا أن غالبية قواعد التعامل مع الآخرين متعلقة باللسان.

لذا ينبغي للمسلم أن يدرك أهمية اللسان، وأن يزن الكلمة قبل النطق بها، وأن يسخر هذا العضو لكسب قلوب الآخرين والتأثير عليهم. وقبل هذا وذلك ينبغي أن يعي أنه محاسب على ما يتفوه به لسانه ومؤاخذ على ذلك عند الله تعالى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» (٢).

(١) سورة ق: الآية ١٨.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: «تقوى الله وحسن الخلق»، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: «الفرج»^(١).

وقال عبد الله بن سفيان الثقفى: قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به فقال: «قل ربي الله ثم استقم»، قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسانه وقال: «هذا»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، تزلّ بها قدمه في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»^(٣).

ويقول رسول الله ﷺ: «أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، يأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طُرِحَ في النار»^(٤).

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه النسائي والترمذي وصححه ابن ماجه.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد.

(٤) رواه مسلم.

وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار: «يا أبا يحيى، حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم»^(١).

وقال الحسن: تكلم قوم عند معاوية رحمه الله، والأحنف بن قيس ساكت، فقال له معاوية: ما لك يا أبا بحر لا تتكلم؟ فقال له: «أخشى الله إن كذبت، وأخشاك إن صدقت»^(٢).

وقال الحسن رضي الله عنه: «من كثر كلامه كثر كذبه، ومن كثر ماله كثرت ذنوبه، ومن ساء خلقه عذب نفسه»^(٣).

ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة اللسان فقال: «لو كانت هذه خرساء كان خيراً لها»^(٤).

وروى مالك بن أنس: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أبا بكر رضي الله عنه وهو يمد لسانه بيده فقال له: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ قال: «هذا أوردني الموارد».

وروى كذلك أن امرأة نظرت إلى فرج امرأة ميتة فقذفتها في عرضها، فلصقت يدها في فرج تلك الميتة، فما

(١) سعيد حوى، المستخلص في تزكية الأنفس، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٣٨٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٨٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٨٨.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٨٩.

استطاعوا أن يتزعوها، فأرسلوا في طلب الإمام مالك، فجاء فقال للمرأة: ما قلت، فأنكرت في أول الأمر أنها قالت شيئاً ثم اعترفت بما قالت، فأمر بإقامة الحد عليها، وحد القذف ثمانين جلدة، فلما جُلدت انتزعت يدها من جسد المرأة.

ويقول الإمام الشافعي:

إذا شئت أن تحيا سليماً من الأذى
وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرئ
فكلك عورات وللناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك مساويا
فصنها وقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى
وفارق ولكن بالتي هي أحسن

ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

ودع الكذوب فلا يكن لك صاحباً
إن الكذوب يسير حراً يصحب
يلقاك يقسم أنه بك واثق
وإذا توارى عنك فهو العقرب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة
ويروغ منك ما يروغ الثعلب
ويقول صالح بن عبد القدوس:

ودع الكذوب فلا يكن لك صاحباً
 إن الكذوب لبئس خلا يُصحب
 واحفظ لسانك واحترز من لفظه
 فالمرء يسلم باللسان ويعطب
 وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن
 ثرثارة في كل ناد تخطب
 ويقول الشاعر:

تكلم وسدد ما استطعت فإنما
 كلامك حي والسكوت جماد
 فإن لم تجد قولاً سديداً تقوله
 فصمتك عن غير السداد سداد
 ويقول آخر:

يموت الفتى من عشرة بلسانه
 وليس يموت المرء من عشرة الرجل
 ومما يروى في أثر الكلمة وخطورتها أن هناك قبيلة
 تسمى قبيلة «أنف الناقة»، وكان أصحابها يخجلون من هذه
 التسمية ومن الانتساب إلى هذه القبيلة، فذهب أحدهم إلى
 الحُطَيْيئة فأخبره بالأمر، فقال الحطَيْيئة بيتاً واحداً من الشعر
 جعلت هذه القبيلة ترفع رأسها بين العرب، حيث قال:

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم
 فمن يسوي بأنف الناقة الذنبا

العلم مغرس كل فخر فافتخر

العلم صفة رئيسة لكل من يريد قيادة الآخرين وتوجيههم وكسب قلوبهم، فالجهل لا يأتي بخير، لذا يقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «من عمل بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح».

ولقد أثنى الله تعالى على العلماء فقال: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١).

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٢).

وبيّن الرسول ﷺ فضل العلماء فقال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلُّون على معلمي الناس الخير» (٣).

(١) سورة المجادلة: الآية ١١.

(٢) سورة الزمر: الآية ٩.

(٣) رواه الترمذي عن أبي أمامة وقال: حديث حسن.

إن الإنسان يحتاج إلى قدر كبير من المعلومات والثقافة كي يستطيع قيادة الآخرين، وربما يضطر إلى تناول بعض الحقائق العلمية أو الوقائع التاريخية أو المستجدات السياسية من أجل فض نزاع أو حل مشكلة أو إقناع مخالف أو إفحام خصم.

إن العقلاء من الناس لا يثقون ولا يقدرّون حق التقدير إلا أصحاب العلم، لذا يقول أبو الأسود: «ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك».

ويقول الشاعر:

إن الأكابر يحكمون على الوري'
وعلى الأكابر يحكم العلماء
ويقول الحسن البصري: «موت العالم ثلثة في الإسلام
لا يسدها شيء ما اطرده الليل والنهار»^(١).

ويقول الشاعر:

تعلم فليس المرء يولد عالماً
وليس أخو علم كمن هو جاهل
فإن كبير القوم لا علم عنده
صغير إذا التفت عليه الجحافل

(١) يوسف القرضاوي، الرسول والعلم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤،

وإن صغير القوم إن كان عالماً
كبير إذا ردت إليه المحافل^(١)

ويقول علي بن أبي طالب:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم
على الهدى لمن استهدى أدلاءً
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حياً به أبداً
الناس موتى وأهل العلم أحياء^(٢)

ويقول الشافعي:

رأيت العلم صاحبه كريم
ولو ولدته آباء لئام
وليس يزال يرفعه إلى أن
يعظم أمره القوم الكرام
ويتبعونه في كل حال
كراعي الضأن تتبعه السوام

(١) محمد عفيف الزعبي، ديوان الشافعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣، ص ٧٠ - ٧١.

(٢) جاسم مهلهل الياسين، العلم بين يدي العالم والمتعلم، الكويت، ص ١١.

فلولا العلم ما سعدت رجال

ولا عرف الحلال ولا الحرام^(١)

ويقول إبراهيم بن مسعود الألبيري وهو يعظ ابنه أبا بكر

في قصيدة طويلة:

أبا بكر دعوتك لو أجبت

إلى ما فيه حظك لو عقلتا

إلى علم تكون به إماماً

مطاعاً إن نَهيت وإن أمرتا

ويجلو ما بعينك من غشاها

ويهديك الطريق إذا ضللتا

وتحمل منه في ناديك تاجاً

ويكسوك الجمال إذا عريتا

ينالك نفعه ما دمت حياً

ويبقى ذكره لك إن ذهبتا

هو الغضب المهند ليس ينبو

تصيب به مقاتل من أردتا

وكنز لا تخاف عليه لصاً

خفيف الحمل يوجد حيث كنت

(١) محمد عفيف الزعبي، ديوان الشافعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،

يزيد بكثرة الإنفاق منه
وينقص إن به كفاً شددت
فلو قد ذقت من حلواه طعاماً
لأثرت التعلم واجتهدت
ولم يشغلك عنه هوى مطاعاً
ولا دنيا بزخرفها فتننا
ولا ألهاك عنه أنيق روض
ولا دنيا بزینتها كلفتنا
سينطق عنك علمك في ملاء
ويكتب عنك يوماً إن كتمتا
وما يغنيك تشييد المباني
إذا بالجهل نفسك قد هدمتا
جعلت المال فوق العلم جهلاً
لعمرك في القضية ما عدلتنا
وبينهما بنص الوحي بون
ستعلمه إذا طه قرأتنا
لئن رفع الغني لواء مال
لأنت لواء علمك قد رفعت
لئن جلس الغني على الحشايا
لأنت على الكواكب قد جلستا

وإن ركب الجياد مسومات

لأنت مناهج التقوى ركبتا^(١)

(١) محمد بن أحمد سيد أحمد، عشرون قصيدة في الزهد، الجزء الثاني، مكتبة السوادي للتوزيع، جده، ١٩٨٩، ص ٤٥ - ٤٨.

رضا الناس غاية لا تدرك

٥

نعم، رضا الناس غاية لا تدرك، إذ لا يستطيع الإنسان أن يرضي جميع الناس، فإن هو أَرْضَى الصالحين لربما سخط عليه الطالحون، وإن هو أَرْضَى الرؤساء لربما غضب منه المرؤوسون، وإن حاول إرضاء الأغنياء لربما كرهه الفقراء. وهكذا، يصعب على الإنسان أن يرضي الجميع، والسبب في ذلك اختلاف الأفهام والعقول والنفوس والأهواء والمصالح.

يرغب بعض الناس، بل يستमित بعضهم، في طلب رضا جميع الناس، وهذا أمر يكاد يكون مستحيلاً، لذا فإن الصواب في هذا الأمر أن يسعى المرء في إرضاء الله عز وجل وتحقيق الحق، ثم يحرص على التلطف مع الآخرين، والإحسان في معاملتهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وبعدها ليرضى من يرضى، وليسخط من يسخط، فالحق أحق أن يتبع، ورضا الله خير من رضا البشر، ومن رضي الله عنه أَرْضَى عنه الناس، ومن سخط الله عليه أسخط عليه الناس.

إن رضا الله هو الميزان الذي ينبغي أن نزن به سلوكنا وأعمالنا، فكن مع الله يكن الله معك.

ومن ذا الذي تُرضى سجاياه كلها

٦

على الإنسان وهو يتعامل مع الآخرين أن يدرك أن النقص من طبيعة البشر، وأن الكمال لله تعالى، والعصمة لنبه ﷺ. لذا فليس من العيب أن يخطيء الفرد إذا ما اجتهد وبذل جميع الأسباب التي بين يديه، ولكن الخطأ الأكبر أن ينظر الإنسان إلى الآخرين وكأنهم ملائكة معصومون من الخطأ ومنزهون عن التقصير والزلل.

يقول بعض البلغاء: «لا يزهديك في رجل حمدت سيرته، وارتضيت وتيرته، وعرفت فضله، وبطنت عقله، عيب خفي تحيط به كثرة فضائله، أو ذنب صغير تستغفر له قوة وسائله، فإنك لن تجد ما بقيت مهذباً لا يكون فيه عيب ولا يقع منه ذنب»^(١).

ويقول الخطيب البغدادي (وفي رواية ابن كثير في البداية والنهاية ج ٩ ص ١٠٦ أنها مقولة التابعي سعيد بن المسيب):

(١) علي بن محمد الماوردي، أدب الدنيا والدين، دار الكتب العلمية، بيروت، غير محدد سنة الطبع، ص ١٧٤.

«ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، فمتى كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله»^(١).

ويقول ابن الرومي:

هم الناس والدنيا ولا بد من قذى
يلم بعين أو يكدر مشرباً
ومن قلة الإنصاف أنك تبتغي
المهذب في الدنيا ولست المهذباً
ويقول النابغة الذبياني:

ولست بمستبق أخاً لا تلمه
على شعث أي الرجال المهذب
ويقول بشار بن برد:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلاً أن تُعدّ معايبه^(٢)
وقال بعض الحكماء: «لا صديق لمن أراد صديقاً لا
عيب فيه». وقيل لانو شروان: هل من أحد لا عيب فيه؟
قال: «من لا موت له».

إن الله تعالى يحاسب الناس يوم القيامة بهذا الميزان، لذا

(١) الخطيب البغدادي، الكفاية، ص ٧٩.

(٢) علي بن محمد الماوردي، أدب الدنيا والدين، دار الكتب العلمية، بيروت، غير محدد سنة الطبع، ص ١٧٤.

يقول جلا وعلا: ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٢٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (١٢٣) (١).

ويقول الإمام الذهبي في كتابه القيم «سير أعلام النبلاء» عند ترجمته للفقّال الشاشي: «قال أبو الحسن الصفّار: سمعت أبا سهل الصلعوكي، وقد سُئل عن تفسير أبي بكر القفال، فقال: قدسه من وجه، وذنسه من وجه: أي دنسه من جهة نصره للاعتزال». قلت (أي الذهبي): قد مر موته، والكمال عزيز، وإنما يُمدح العالم بكثرة ما له من الفضائل، فلا تدفن المحاسن لورطة، ولعله رجع عنها، وقد يغفر الله له باستفراغه الوسع في طلب الحق، ولا قوة إلا بالله».

وقد وضع الإمام السبكي رحمه الله في «طبقات الشافعية» قاعدة ذهبية في هذا الباب، إذ قال: «الصواب عندنا أن من تثبت إمامته وعدالته، وكثر مادحوه ومزكوه، وندر جارحوه، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه، من تعصب مذهبي أو غيره، فإننا لا نلتفت إلى الجرح فيه، ونعمل فيه بالعدالة، وإلا فلو فتحنا هذا الباب أو أخذنا تقديم الجرح على إطلاقه، لما سلم لنا أحد من الأئمة، إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون، وهلك فيه هالكون» (٢).

(١) سورة المؤمنون: الآيتين ١٠٢ - ١٠٣.

(٢) عبد الحميد البلالي، فقه الدعوة في إنكار المنكر، دار الدعوة، الكويت،

ويقول الإمام ابن تيمية ناصحاً تلميذه ابن القيم: «واعلم أن من قواعد الشرع والحكمة أيضاً أن من كثرت حسناته وعظمت وكان له في الإسلام تأثير ظاهر فإنه يُحتمل له ما لا يُحتمل لغيره، ويُعفى عنه ما لا يُعفى عن غيره، فإن المعصية خبث، والماء إذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث»، (القلة هو إناء من الفخار يشرب منه)^(١).

ويقول ابن رجب الحنبلي رحمه الله في كتابه «القواعد» (ص ٣): «والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه».

وقال الذهبي رحمه الله تعالى في ترجمة الفضيل: «قلت: إذا كان مثل كبراء السابقين قد تكلم فيهم الروافض والخوارج، ومثل الفضيل يتكلم فيه، فمن الذي يسلم من السنة الناس، لكن إذا ثبتت إمامة الرجل وفضله، لم يضره ما قيل فيه، وإنما الكلام في العلماء مفتقر إلى وزن بالعدل والورع»^(٢).

(١) جاسم مهلهل الياسين، للدعاة فقط، دار الدعوة، الكويت، ١٩٨٨، ص ٨٣.

(٢) شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٠، ص ٤٤٨.

إذا أردت أن تطاع فأمر بالمستطاع

يقول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتُمْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ^١ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ (١).

ويقول الله تعالى: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (٢).

ويقول تعالى: ﴿وَلَا تُقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ^٣ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ^٤ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ (٣).

ويقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ (٤).

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣٣.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٥٢.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٤٢.

مما سبق يتأكد لنا أن لكل إنسان طاقة معينة وقدرة محدودة لا يستطيع تجاوزها، وإذا طُلب منه ما لا يستطيع اضطر إلى التقصير، وربما يتمرد على هذا الطلب، وقد يحمل في نفسه حقداً وبغضاً على الطالب.

إن الإنسان الفطن هو الذي يتعرف على إمكانات الآخرين وقدراتهم ثم يطالبهم بما يستطيعون، حتى لا يجرئهم على العصيان والمخالفة ولكي أيضاً لا تسوء العلاقة بينه وبينهم، ولذا نقول إذا أردت أن تطاع فأمر بالمستطاع.

أنى لها وغرار عزمي باتر

يصادف الإنسان عند تعامله مع الآخرين أصنافاً شتى من البشر، فهناك المشجّع وهناك المثبّط، وهناك الدافع إلى الإمام وهناك الساحب إلى الوراء. والعاقل من لا يستجيب للمثبطين ولا يلتفت إلى الوراء، إذ لا خير فيمن لا يدعوك إلى التقدم ولا يدفعك إلى الخير ولا يعينك على طاعة الله تعالى. وفي ذلك يقول الشاعر:

تأخرت أستبق الحياة فلم أجد

لنفسي حياة مثل أن أتقدما

وقد حاولت زوجة العلامة محمود الزمخشري (المتوفى ٥٣٨ هـ) واسمها تماضر أن تثني عزيمة زوجها عن المسير إلى حج بيت الله الحرام، فرد عليها بقوة وحزم قائلاً:

قامت لتمنعني المسير تماضر

أنى لها وغرار عزمي باتر

شامت عقيقة عزمتي فحنينها

رعد وعيناها السحاب الماطر

حني رويداً لن يرق لضبية
 وبغامها ليث العرين الزائر
 أرخي قناعك يا تماضر وامسحي
 عينيك صابرة فإني صابر
 لو أشبهت عبرات عينك لجة
 وتعرضت دوني فإني عابر
 إني لذو وجد كما جربتني
 صلب وبعض الناس رخو فاتر
 إن عنّ لي أمر فلي عن رفضه
 ناه وبالإقدام فيه أمر
 فإذا عزمت على تقارب نهضتي
 أمضي العزيمة جدي المتناصر
 والجد شيمة من له عرق إذا
 عدت عروق ذوي المرائر طائر
 ما فضل المهري إلا أنه
 بالجد في طي المراحل ماهر

إن الإيجابية والإقدام، وعدم الرجوع إلى الوراء،
 بالإضافة إلى عدم الالتفات إلى المثبطين والمتقاعسين، كل
 ذلك مما ينبغي أن يكون عليه المسلم عند تعامله مع الآخرين.

إن الله تعالى ورسوله يدعوان المسلمين دائماً إلى المبادرة
 والمسارعة والمسابقة، حيث يقول تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ﴾

مَغْفِرَةً مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ (١).

ويقول الله تعالى: ﴿فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (٢).

ويقول تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا
كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
«بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً
ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض
من الدنيا» (٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
«بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى
مُطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرمًا مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو
الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر» (٥).

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٨.

(٣) سورة الحديد: الآية ٢١.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه

إن العاقل لا يقدم على قول أو فعل إلا إذا وجد فيه خيراً مرجوياً أو شراً مجتنباً، أنه يترك كل ما لا يعنيه وينشغل فيما ينفعه. والذي يتكلم فيما لا يعنيه، أو يسأل ما لا يعنيه، فإنه يتعرض لسخط الناس وغضبهم، ذلك لأنه يتسبب في إخراجهم ومضايقتهم. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»^(١).

قال مجاهد: سمعت ابن عباس رضي الله عنه يقول: «خمس لهن أحب إليّ من الدهم الموقوفة: لا تتكلم فيما لا يعينك فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر، ولا تتكلم فيما يعينك حتى تجد له موضعاً فإنه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت، ولا تمار حليماً ولا سفيهاً فإن الحليم يقلبك والسفيه يؤذيك، واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به واعفه بما تحب أن يعفك منه وعامل أخاك بما تحب أن يعاملك به، واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازي

(١) رواه الترمذي وابن ماجه.

بالإحسان مأخوذ بالاحترام»^(١).

وقال مورق العجلي: «أمر أنا في طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه، ولست بتارك طلبه»، قالوا: وما هو؟ قال: «السكوت عما لا يعنيني»^(٢).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا تتعرض لما لا يعينك، واعتزل عدوك، واحذر صديقك من القوم إلا الأمين، ولا أمين إلا من خشي الله تعالى، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلع على شرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى»^(٣).

وروي أن لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعاً، ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم، فجعل يتعجب مما رأى، فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته حكمته، فأمسك نفسه ولم يسأله، فلما فرغ قام داود ولبسه، ثم قال: نعم الدرع للحرب، فقال لقمان: «الصمت حكم وقليل فاعله»، أي حصل العلم به من غير سؤال. وسئل لقمان ذات مرة ف قيل له: ما حكمتك؟ فقال: «لا أسأل عما كفيت، ولا أتكلف ما لا يعنيني»^(٤).

(١) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، دار قتيبة، بيروت، ١٩٩٢، ص ١٧٠ - ١٧١.

(٢) المصدر السابق: ص ١٧١.

(٣) المصدر السابق، ص ١٧٠.

(٤) المصدر السابق، ص ١٧١.

ومن أمثلة السؤال عما لا يعينك أن تسأل صاحبك فتقول له: هل أنت صائم؟ فإن قال: نعم، كان مظهراً لعبادته، فيدخل عليه الرياء، وإن لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر، وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات، وإن قال: لا، كان كاذباً، وإن سكت كان مستحقراً لك وتأذيت به، وإن احتال لمدافعة الجواب افتقر إلى جهد وتعب فيه. فقد عرضته بالسؤال إما للرياء أو للكذب أو للاستحقار أو للتعيب في حيلة الدفع، وكذلك سؤالك عن سائر عباداته، وعن كل ما يخفيه ويستحي منه^(١).

(١) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، دار قتيبة، بيروت، ١٩٩٢، ص ١٧١.

خصلتان يحبهما الله ورسوله

١٠

نعم والله، إنهما خصلتان يحبهما الله ورسوله، موفق من أوتيتهما، ومحرووم من حرهما، وهما الحلم والعمو. إن الحلم والعمو خلقان كريمان بينهما علاقة وطيدة، إذ أن من يحلم مع الآخرين فإنه (في الغالب) يعفو عن زلاتهم وعثراتهم. ولكن ليس بالضرورة أن يتلازم هذان الخلقان، فقد يحلم الإنسان ولا يعفو أو قد يعفو عن الآخرين دون أن يحلم معهم.

إن ثمة فرق دقيق في معنى كل من التحلم (كظم الغيظ) والحلم والعمو. فالتحلم هو تصنع الحلم أو تكلفه، وذلك بأن يكظم الإنسان غيظه، وهذا يحتاج إلى مجاهدة شديدة ومراغمة للنفس.

أما الحلم فهو كظم الغيظ دون تكلف أو عناء، وإنما هو عادة وسليقة وطبيعة عند الإنسان من غير تصنع، حيث يستقبل الإنسان عثرات الآخرين وزلاتهم ببرود أعصاب وعدم هيجان، فلا يثور ولا يغضب، وإن غضب فإنه يكتم غضبه دون تعب أو مشقة لأنه تعود على التحلم وكظم الغيظ حتى أصبح ذلك حلماً، وهو دليل على كمال العقل وسيطرته، وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل.

أما الخلق الثالث وهو العفو والصفح فهو أن يكون للإنسان حقاً فيتنازل عنه فلا يقتصص ولا يعاقب ولا ينتقم لنفسه، ولذا فهو مختلف عن الحلم والتحمل، فالحلم هو الابتعاد عن الهيجان والانفعال والغضب، والعفو هو التنازل عن حق النفس والصفح والإحسان للآخرين.

إن من المعلوم بالضرورة أن الكمال لله عز وجل وأن النقص من طبيعة البشر، لذا ينبغي أن يتوقع الإنسان الخطأ والزلل من الآخرين، فإن حلم وعفا أراح نفسه من هم الغيظ وشر الغضب، وحفظ علاقته مع الآخرين ومودتهم له، وإن لم يفعل انصرفت أواصر الأخوة والمحبة، ودب الشقاق والنزاع والخلاف.

لقد ربط الله بين مغفرته والفوز بجنته وبين أولئك الذين يتصفون بهاتين الصفتين، حيث قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُطَيْبِ وَالْفَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ (١).

ويقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢).

(١) سورة آل عمران: الآيتين ١٣٣ - ١٣٤.

(٢) سورة النور: الآية ٢٢.

ويقول الله تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (١).

ويقول الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (١٩٩) (٢).

ويروي البخاري ومسلم أنه وفد على النبي ﷺ الأشج، فأناخ راحلته ثم عقلها، وطرح عنه ثوبين كانا عليه، وأخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما، ورسول الله يرى ما يصنع، ثم أقبل يمشي إلى رسول الله ﷺ فقال الرسول ﷺ: «إن فيك يا أشج خلقين يحبهما الله ورسوله»، قال: ما هي بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال: «الحلم والأناة»، فقال: خلقان تخلقتهما أو خلقان جُبلت عليهما؟ فقال: «بل خلقان جبلك الله عليهما»، فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله.

وروى الإمام الترمذي أن النبي ﷺ خطب في الناس عصر يوم من الأيام فكان مما قاله لهم: «إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى: ألا وإن منهم البطيء الغضب سريع الفيء، والسريع الغضب سريع الفيء، والبطيء الغضب بطيء الفيء فتلك بتلك. ألا وإن منهم بطيء الفيء سريع الغضب، ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفيء، وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء. ألا وإن منهم حسن القضاء حسن الطلب، ومنهم

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٧.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.

سوء القضاء حسن الطلب، ومنهم سوء الطلب حسن القضاء فتلك بتلك. ألا وإن منهم سوء القضاء سوء الطلب. ألا وخيرهم الحسن القضاء الحسن الطلب، وشهرهم سوء القضاء سوء الطلب. ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم، أما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه، فمن أحس بشيء من ذلك فليصق بالأرض» (أي فليبق مكانه وليجلس).

ويروي الإمام أبو داود أن رسول الله ﷺ قال: «من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء».

وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث والذي نفسي بيده لو كنت حلفاً لحلفت عليهن: ما نقص مال من صدقة فتصدقوا، ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله إلا زاده الله عزاً يوم القيامة، ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر»^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ منتصراً من مظلمة ظلمها قط مالم يُنتهك من محارم الله، فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أشدهم في ذلك غضباً، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثماً»^(٢).

(١) رواه الترمذي عن أبي كبشة الأنماري، ولمسلم وأبي داود نحوه عن أبي هريرة.

(٢) رواه الترمذي، وهو عند مسلم بلفظ آخر.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «من اتقى الله لم يشف غيظه، ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون»^(١). وقال كذلك: «تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم»^(٢).

واجتمع سفيان الثوري وأبو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد، فأجمعوا على أن أفضل الأعمال: الحلم عند الغضب، والصبر عند الجزع. وقال بعضهم: «شتمت فلاناً من أهل البصرة فحلم على فاستعبدني بها زماناً». وقال الحسن: «اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم»^(٣).

وقال أكثم بن صيفي (وهو حكيم العرب في الجاهلية، وأحد المعمرين، عاش زمناً طويلاً، وأدرك الإسلام، فخرج قاصداً المدينة ليسلم فمات في الطريق في السنة التاسعة للهجرة): «دعامة العقل الحلم، وجماع الأمر الصبر».

وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: «لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم».

وقال كذلك معاوية لعمر بن الأهتم (وهو عمرو بن

(١) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، دار قتيبة، بيروت، ١٩٩٢، ص ٢٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٥٩.

سنان، شاعر، وسيد، وخطيب في الجاهلية والإسلام، تكلم بين يدي النبي فقال الرسول ﷺ: «إن من البيان لسحرا»، توفي سنة ٥٧ هـ: أي الرجال أشجع؟ فقال: من رد جهله بحلمه، قال: أي الرجال أسخى؟ فقال: من بذل دنياه لصلاح دينه^(١).

وروي أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال لعرابة بن أوس (وهو من سادات المدينة، أدرك النبي وأسلم صغيراً، وفد الشام في أيام معاوية، وتوفي بالمدينة نحو ٦٠ هـ): بم سدت قومك يا عرابة؟ قال: «يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم، وأعطي سائلهم، وأسعى في حوائجهم، فمن فعل فعلي فهو مثلي، ومن جاوزني فهو خير مني، ومن قصر عني فأنا خير منه»^(٢).

وسب رجل ابن عباس رضي الله عنه فلما فرغ، قال: يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضها؟ فنكس الرجل رأسه واستحى^(٣).

وعن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أنه سبه رجل، فرمى إليه بخميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فقال بعضهم: جمع له خمس خصال محمودة: الحلم، وإسقاط الأذى، وتخليص الرجل مما يبعد من الله عز وجل،

(١) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، دار قتيبة، بيروت، ١٩٩٢، ص ٢٦٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦٣.

وحمله على الندم والتوبة، ورجوعه إلى مدح بعد الذم، اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير^(١).

وقال رجل لجعفر بن محمد: قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر، وإني أريد أن أتركه فأخشى أن يقال لي: إن تركك له ذل، فقال جعفر: إنما الذليل الظالم.

وقال الأحنف بن قيس: «لست بحليم ولكنني أتحلم»^(٢).

وقال بعض العلماء: «الحلم أرفع من العقل، لأن الله تعالى تسمى به».

ومر المسيح بن مريم عليه السلام بقوم من اليهود، فقالوا له شراً، فقال لهم خيراً، ف قيل له: إنهم يقولون شراً وأنت تقول خيراً؟ فقال: «كل ينفق مما عنده»^(٣).

وقال لقمان لابنه: «يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسألة، ولا تشف غيظك بفضيحتك، واعرف قدرتك تنفعك معيشتك»^(٤).

وقال لقمان أيضاً: «ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة، لا

(١) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، دار قتيبة، بيروت، ١٩٩٢، ص ٢٦٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦٣.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٥٩.

يعرف الحلیم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب،
ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه»^(١).

وضرب رجل قدم حکیم فأوجعه فلم يغضب، فقيل له
في ذلك فقال: أقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب.

وقال محمود الوراق (وهو محمود بن حسن، شاعر،
أكثر شعره في المواعظ والحكم، توفي عام ٢٢٥ هـ):

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب

وإن كثرت منه عليّ الجرائم

وما الناس إلا واحد من ثلاثة

شريف ومشروف ومثلي مقاوم

فأما الذي فوقني فأعرف قدره

وأتبع فيه الحق والحق لازم

وأما الذي دوني فإن قال صنت عن

إجابته عرضي وإن لام لائم

وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا

تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم^(٢)

وقال عمرو بن علي:

إذا نطق السففيه فلا تجبه

فخير من إجابته السكوت

(١) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، دار قتيبة، بيروت،
١٩٩٢، ص ٢٦٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٣ - ٢٦٤.

سكت عن السفية فظن أنني

عييت عن الجواب وما عييت

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينفق على

مسطح بن أثانة (أمه بنت خالة أبي بكر الصديق، توفي عام ٣٤ هـ)

لقربته، فلما تكلم مسطح على عائشة رضي الله عنها في

حادثة الإفك، أقسم أبو بكر أن لا ينفق على مسطح،

فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ

يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا

أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ (النور: ٢٢)،

فقال أبو بكر: نعم نحب ذلك، وعاد إلى الإنفاق عليه^(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنه عن أبي بكر الصديق

رضي الله عنه أنه قال: «بلغنا أن الله تعالى يأمر منادياً يوم

القيامة فينادي: من كان له عند الله شيء فليقم، فيقوم أهل

العفو، فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس».

ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه

فجعل يشكو إليه رجلاً ظلمه، ويقع فيه، فقال له عمر: إنك إن

تلقى الله ومظلمتك كما هي خير من أن تلقاه وقد اقتصصتها^(٢).

وعن مبارك بن فضالة قال: وفد سوار بن عبد الله (وهو

(١) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، دار قتيبة، بيروت،

١٩٩٢، ص ٢٦٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٦٩.

قاضي من تميم، له شعر رقيق وعلم بالفقه والحديث، من أهل البصرة، توفي سنة ٢٤٥ هـ) في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر، قال: فكنت عنده إذ أتني برجل فأمر بقتله، فقلت (في نفسي): يُقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر، فقلت: يا أمير المؤمنين ألا أحدثك حديثاً سمعته من الحسن؟ قال: وما هو؟ قلت: سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، فيقوم مناد فينادي: من له عند الله يد فليقم، فلا يقوم إلا من عفا، فقال: والله لقد سمعته من الحسن؟ فقلت: والله لقد سمعته منه، فقال: خيلنا عنه^(١).

وقال معاوية رضي الله عنه: «عليكم بالحلم والاحتمال حتى تتمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والإفضال»^(٢).

وروي أن راهباً دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب: رأيت ذا القرنين، أكان نبياً؟ فقال: لا، ولكنه إنما أعطي ما أعطي بأربع خصال كن فيه: كان إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا حدث صدق، ولا يجمع شغل اليوم لغد^(٣).

وقال بعضهم: «ليس الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر

(١) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، دار قتيبة، بيروت، ١٩٩٢، ص ٢٧٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧٠.

انتقم، ولكن الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر عفا».

وروي أن سارقاً دخل خباء عمار بن ياسر بصفين، فقيل له: اقطعه فإنه من أعدائنا، فقال: بل استر عليه لعل الله يستر علي يوم القيامة^(١).

وقال الفضيل: ما رأيت أزهد من رجل من أهل خراسان، جلس إلي في المسجد الحرام، ثم قام ليطوف فسُرقت دنائير كانت معه فجعل يبكي، فقلت: أعلى الدنائير تبكي؟ فقال: لا، ولكن مثلتني وإياه بين يدي الله عز وجل فأشرف عقلي على إدحاض حجته فبكائي رحمة له^(٢).

وكتب ابن المقفع إلى صديق له يسأله العفو عن بعض إخوانه فقال: «فلان هارب من زلته إلى عفوك، لائذ منك بك، واعلم أنه لن يزداد الذنب عظماً إلا ازداد العفو فضلاً»^(٣).

وأتى عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الأشعث (وهو عبد الرحمن بن محمد، توفي عام ٨٥ هـ، وهو أمير وقائد شجاع، أرسله الحجاج بجيش لغزو بلاد الترك، فثار على الحجاج، ونشبت بينهما حروب انتهت بمقتله) فقال لرجاء بن حيوة (وهو عالم وواعظ وشيخ أهل الشام في عصره، وهو

(١) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، دار قتيبة، بيروت، ١٩٩٢، ص ٢٧٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧١.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧١.

الذي أشار على سلميان بن عبد الملك باستخلاف عمر بن عبد العزيز): ما ترى؟ قال: إن الله تعالى قد أعطاك ما تحب من الظفر، فأعط الله ما يحب من العفو، فعفا عنهم^(١).

وروي أن زياداً أخذ رجلاً من الخوارج فأفلت منه، فأخذ أخاً له فقال له: إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك، فقال: أرأيت إن جئت بكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي؟ قال: نعم، قال: فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم، وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى، ثم تلا قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُبْنَا بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَزِرَّتْ وَرَءُكَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾^(٢) فقال زياد: خلوا سبيله، هذا رجل قد لقن حجته. وقيل مكتوب في الإنجيل: «من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان»^(٣).

وقال ابن الرومي:

فعدرك مبسوط الذنب مقدم
وودك مقبول بأهل ومرحب
ولو بلغتني عنك أذني أقمتها
لدى مقام الكاشح المتكذب
فلست بتقلب اللسان مصارماً
خليلاً إذا ما القلب ما يتقلب

(١) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج ٣، دار قتيبة، بيروت، ١٩٩٢، ص ٢٧١.

(٢) سورة النجم: الآيات ٣٦ - ٣٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٧١.

وقال بعض شعراء هذيل:

فبعض الأمر تصلحه ببعض

فإن الغث يحمله السمين

ولا تعجل بظنك قبل خبر

فعند الخبر تنقطع الظنون

ترى بين الرجال العين فضلاً

وفيما أضمروا الفضل المبين

كلون الماء مشتبهاً وليست

تخبر عن مذاقته العيون^(١)

وجلس عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في السوق يبتاع

طعاماً، فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته، فوجدتها قد

حُلت قال: حلت وإنها لمعي، فجعلوا يدعون على من

أخذها، ويقولون: اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها، اللهم

افعل به كذا، فقال عبد الله بن مسعود: اللهم إن كان حمله

على أخذها حاجة فبارك له فيها، وإن كان حملته جراءة على

الذنب فاجعله آخر ذنوبه^(٢).

وقال مالك بن أوس بن الجذثان: غضب عمر بن

الخطاب رضي الله عنه على رجل وأمر بضربه فقلت: يا أمير

(١) علي بن محمد الماوردي، أدب الدنيا والدين، دار الكتب العلمية، بيروت، غير محددة سنة الطبع، ٣٢٥ - ٣٢٦.

(٢) إبراهيم الجمل، جذور الشر، ص ٤٦ - ٤٧.

المؤمنين: «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين»، فكان عمر يقول: «خذ العفو..» فكان يتأمل في الآية، وكان وقافاً عند كتاب الله مهما تلي عليه، كثير التدبر فيه، ثم خلى الرجل.

وأمر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْضَ﴾^(١)، فقال لغلامه: خل عنه.

وفي كفر المصلحة بمصر، بلدة عبد العزيز باشا فهمي (وهو سياسي مصري ورئيس حزب الأحرار الدستوري، ١٨٧٠ - ١٩٤٨) حدثت مشادة بين الدعاة إلى الله وبين أفراد عائلة الباشا. وعلى أثر هذه المشادة توجه بعض الدعاة من هذه البلدة إلى القاهرة وقدموا إلى الأستاذ حسن البنا رحمه الله شكواهم، ثم قالوا: إنه بعد ذلك لا يُستحب لفضيلتكم أن تقوموا بزيارة عبد العزيز باشا فهمي عند حضوركم للبلدة. وكان من عادة الأستاذ البنا أنه إذا نزل بلداً فإنه يبدأ بزيارة عمدتها أو كبيرها. وبعد أن استمع فضيلته منهم صرفهم ونصحهم أن يلتزموا الحكمة والصبر.

ومضت الأيام واعتزم الأستاذ البنا زيارة كفر المصلحة، فانطلق إليها، فلما وصل طلب من السائق التوجه إلى دار

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣٤.

عبد العزيز باشا فهمي (كالعادة) ولم يستطع السائق إلا تنفيذ طلب الأستاذ. وأخذت الدعاة الدهشة، ولكن الموكب سار حتى وصل إلى دار الباشا الذي كان هو وعائلته يتشككون في هذه الزيارة بعد الذي حدث. فلما وصل إلى الباشا استقبله وعائلته استقبالا كريماً، وودعوه وداعاً لائقاً.

وفي المساء، ازدحم السرادق، وكان في الحضور نفر من أولئك الذين جاءوا ليؤججوا نيران الفتنة، ويصيدوا في الماء العكر. ووقف حسن البنا خطيباً، وحلق بالناس جميعاً في عالم جديد، بعيداً كل البعد عما يجول في خاطرهم، حتى بلغ غايته وربط بين القلوب برباط الإسلام، ثم أذهب عن النفوس كيد الشيطان حيث قال: أنه جاء إليه منذ مدة وفد من هذه القرية، وحدثوه عن المشادة التي حدثت بين الدعاة وبين عائلة عبد العزيز باشا فهمي، ولكن الدعاة كما تعلمون يصدرون في كل تصرفاتهم عن عقيدة وشريعة، ولا يحتكمون إلى هوى ولا يقادون إلى شهوة كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَٰٓءَ ٱلَّآ تَعَدِلُوْا أَعْدِلُوْا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾^(١)، لهذا حين جئت إلى هذا البلد الطيب كان لا بد أن أدخل البلد من الباب، ولا يمكن أن أدخله من الشباك، والباب الوحيد لهذا البلد هو منزل عبد العزيز باشا فهمي.

وبوقوف الأستاذ البنا عند هذه الكلمات الحكيمة الشافية

(١) سورة المائدة: الآية ٨.

تعالت الهتافات من الناس جميعاً، وتصافت الأيدي، وزالت العداوة، وربط الله بين القلوب»^(١).

وأخيراً نود أن نذكر في هذا المقام بعض الأمور التي تعين المرء على التحلي بهذين الخلقين (الحلم والعفو) عند تعامله مع الآخرين، وهي:

- ١ - تدبر فضل الحلم والعفو وأجرهما عند الله تعالى .
- ٢ - إدراك أن للحلم والعفو عاقبة كريمة وشرف رفيع في الدنيا، وأن زوالهما عن المرء خسارة كبيرة في الدنيا قبل الآخرة.
- ٣ - قراءة سيرة أهل الحلم والعفو والسعي للاقتداء بهم والتأسي بأفعالهم.
- ٤ - مجالسة أهل الحلم والعفو ومصاحبتهم، فالصاحب صاحب.
- ٥ - تصنع الحلم والعفو حتى يصبحها سجية، فإنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم.
- ٦ - أن يجعل المسلم غضبه لله ولرسوله ولدينه، فيستعويض بهذا الغضب عن الغضب للذات وللدنيا.

(١) عباس السيسي، حسن البناء - مواقف في الدعوة والتربية، دار الطباعة والنشر والصوتيات، الإسكندرية، ١٩٨٨، ص ٧٤ - ٧٦.

٧ - الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم .

٨ - الاغتسال والوضوء، فالغضب نار ولا يطفىء النار إلا الماء .

٩ - تغيير طبيعة الوقوف والجلوس، فإن كان الإنسان قائماً جلس، وإن كان جالساً استلقى .

١٠ - الاستزادة من العلم، فالعلم نور يقود صاحبه إلى كل خير ويدعوه إلى كل خلق كريم .

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة المتواضعة والتي تناولت فيها بعض قواعد وفنون التعامل مع الآخرين، لا يسعني إلا أن أتضرع إلى الله تعالى بأن يتقبل مني هذا الجهد، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، إذ لا خير في عمل لا إخلاص فيه، ولا بركة في جهد ينقصه توفيق المولى عزّ وجلّ.

إنه مما لا شك فيه أنّ هناك قواعد أخرى للتعامل مع الآخرين، وهي كثيرة متشعبة، لا يمكن حصرها في دراسة واحدة، ولا يستطيع مخلوق أن يزعم أنه أحاط بها علماً، إذ فوق كل ذي علم عليم.

وبالرغم من ذلك، فقد حاولت جمع ما أظنه مهماً، وإن كان في العمر بقية فإني أسأل الله تعالى أن ييسر لنا ذكر المزيد منها.

علي الحمادي

المراجع

- إبراهيم الجمل، جذور الشر.
- ابتسم أقل لك من أنت، غير مبين كاتب المقال، جريدة الخليج، العدد ٥٢٢٦، ١٩٩٣/٩/٢، الشارقة.
- ابن الجوزي، صيد الخاطر.
- ابن القيم الجوزية، عدة الصابرين، دار الكتب العلمية، بيروت، غير محدد سنة الطبع.
- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٢.
- أحمد الجدع، ألقاب الصحابة، مصادرها وقصصها وأهدافها، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٨٥.
- أسماء السيد إبراهيم، الاتصالات الإدارية، ورقة علمية مقدمة لبرنامج مهارات الإشراف والمتابعة الفعالة، معهد التنمية الإدارية، دبي، نوفمبر ١٩٩١.
- أحمد شوقي، الشوقيات، ج٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.
- أحمد المحامدي،، الحب بين العبد والرب، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ١٩٨٥.
- أحمد عز الدين البيانوني، من محاسن الإسلام، دار السلام، القاهرة، ١٩٨٥.
- إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، ج٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

- إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٧.
- أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧.
- جاسم مهلهل الياسين، الأخوة، دار الدعوة، الكويت، ١٩٨٥.
- جمعة أمين، الدعوة قواعد وأصول، دار الدعوة، الإسكندرية، غير محدد سنة الطبع.
- جاسم المهلهل الياسين، العلم بين يدي العالم والمتعلم، الكويت.
- جاسم مهلهل الياسين، للدعاة فقط، دار الدعوة، الكويت، ١٩٨٨.
- جلال الدين السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، غير مبين الناشر ولا سنة الطبع.
- حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٣.
- الخطيب البغدادي، الكفاية.
- دايل كارنيجي، كيف تكسب الأصدقاء، دار مكتبة الهلال، بيروت، غير محدد سنة الطبع.
- زامل الزامل، المجموع المنتخب من المواعظ والأدب، راسم للدعاية والإعلان، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٦.
- زهير الكايد، ماهية السلوك الإداري والعلاقات السلوكية المتبادلة، ورقة علمية مقدمة لبرنامج المهارات السلوكية والإدارية للمديرين، ١٥ - ١٩/١٨/١٩٩٠، معهد التنمية الإدارية، أبو ظبي.
- العزلة والخلطة، أحكام وأحوال، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٩٩٣.
- سعيد حوى، المستخلص في تزكية النفس، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٥.
- السيد سابق، فقه السنة، المجلد الثالث، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣.

- سعيد حوى، فصول في الإمرة والأمير، دار السلام، القاهرة، ١٩٨٣.
- سعيد بن علي القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، مؤسسة الجريسي، الرياض، ١٩٩٢.
- شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٠.
- شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ج ١، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٥٢.
- شوقي أبو خليل، عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨١.
- صالح أحمد الشامي، من معين السيرة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٤.
- عدنان الرومي وعلي الهزاع، نفائس الحلة في التأخي والخلة، جمعية الإصلاح والتوجيه الاجتماعي، دبي، غير محدد سنة الطبع.
- عوض رزق الله أحمد، العلاقات الإنسانية ودورها في إدارة المؤسسات، ورقة علمية مقدمة لبرنامج المهارات السلوكية والإدارية للمديرين، معهد التنمية الإدارية، أبو ظبي، سبتمبر ١٩٩٠.
- علي بن محمد الماوردي، أدب الدنيا والدين، دار الكتب العلمية، بيروت، غير محدد سنة الطبع.
- عبد الحميد محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٠.
- عبد الله ناصح علوان، كيف يدعو الداعية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ١٩٨٦.
- علي صالح الهزاع، أنيس المجلس، ج ٢، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٩٨٧.
- علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٤.

- عبد الله بن أحمد النسفي، تفسير النسفي، ج ٤، دار الفكر العربي، مصر، غير محدد سنة الطبع.
- علي بن حبيب الماوردي، تفسير الماوردي، ج ٤، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ١٩٨٢.
- عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٩٨١.
- غسان حمدون، تفسير من نسمات القرآن، كلمات وبيان، دار السلام، دمشق، ١٩٨٦.
- طارق السويدان، المهارات الإدارية، شركة الإبداع الخليجي، الكويت، ١٩٩٣.
- فرهاد محمد الأهدن، فن وآداب علم التفاوض، مجلة الإدارة، اتحاد جمعيات التنمية الإدارية، القاهرة، العدد الأول، مجلد ٢٠، يوليو ١٩٨٧.
- فهد البدراني، آداب المجلس، مؤسسة الجريسي، الرياض، ١٩٨٩.
- محمد الغزالي، خلق المسلم، دار القلم، دمشق، ١٩٨٧.
- محمد أحمد الراشد، الرقائق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧.
- محمد عفيف الزعبي، ديوان الشافعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣.
- محمد بن أحمد سيد أحمد، عشرون قصيدة في الزهد، الجزء الثاني، مكتبة السوادى للتوزيع، جدة، ١٩٨٩.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، دار التحرير للطبع والنشر، مصر، ١٩٨٠.
- مصطفى السباعي، هكذا علمتني الحياة، القسم الأول، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٤.
- محمد أحمد الراشد، العوائق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١.
- محمد أحمد الراشد، صناعة الحياة، دار المنطلق، دبي، ١٩٨٩.
- محمد عفيف الزعبي، ديوان الشافعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣.

- محمد حسن الحمصي، قرآن كريم، تفسير وبيان، دار الرشيد، دمشق، غير محدد سنة الطبع.
- نذير محمد مكتبي، صفحات مشرقة من حياة السابقين، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٩٢.
- نجيب خالد العامر، من أساليب الرسول في التربية، مكتبة البشري الإسلامية، الكويت، ١٩٩٠.
- لحوم العلماء مسمومة، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٩٩١.
- وهبي سليمان غاوجي، أبو حنيفة النعمان، دار القلم، دمشق، ١٩٨٧.
- يوسف عبد الوهاب، الدافعية والحوافز، ورقة علمية مقدمة لبرنامج المهارات السلوكية والقيادية للمديرين، معهد التنمية الإدارية، أبو ظبي، ١٩٩٠/٩/٢٣.
- يوسف القرضاوي، الرسول والعلم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤.
- يوسف القرضاوي، ثقافة الداعية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧.
- يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٩٨٣.

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٨	فضل مخالطة الناس والتعامل معهم
٣٠	الفرق بين التعامل والولاء
٣٣	مجالات التعامل مع الآخرين
٣٥	أنماط الناس
٣٧	اتجاهات الحكم والتقدير
٤٥	حسن الانتقاء يقي عواقب السوء
٥٢	المهارة الكبرى والقاعدة العظمى
٥٧	رغم أنف ثم رغم أنف
٦٨	قواعد وفنون التعامل مع الناس
٧٠	١ - اصبر لكل مصيبة وتجلد
٧٧	٢ - «بما رحمة من الله لنت لهم»
٨٠	٣ - أمسك عليك هذا
٨٥	٤ - العلم مغرس كل فخر فافتخر
٩١	٥ - رضا الناس غاية لا تدرك
٩٢	٦ - ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
٩٦	٧ - إذا أردت أن تطاع فأمر بالمستطاع
٩٨	٨ - أنى لها وغرار عزمي باتر

رقم الصفحة	الموضوع
١٠١	٩ - من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه
١٠٤	١٠ - خصلتان يحبهما الله ورسوله
١٢١	الخاتمة
١٢٢	المراجع
١٢٧	الفهرس